

الإضهاد الديني والتسامح العملي في إنكلترا (1500-1640) السياق الإجماعي للتسامح بين الجيران (المبدأ والممارسة)

سيبان سعيد شرو مهمدا / قسم التاريخ، كلية التربية الأساسية، جامعة دهوك، إقليم كردستان العراق.



CORSPONDANCE

سيبان سعيد شرو مهمدا

sipan.mahmada@uod.ac

2024/01/06 الاستلام
2024/05/05 القبول
2024/08/15 النشر

الكلمات المفتاحية:

الإضهاد الديني،
التسامح،
التاريخ الإجماعي،
التاريخ الإنكليزي الحديث،
الكنيسة الرسمية،
المنشقون.

ملخص

تجاهل هذه الدراسة أي محاولة لتتبع مسار تاريخ التسامح "من الاضهاد إلى التسامح" وتشير إلى أنه من الخطأ في المنظور التركيز فقط على التاريخ النخبوي أو السياسي عند رصد التحولات الجوهرية التي اجتازتها المجتمعات الأوروبية في نضالها للتسامح الديني، وعلى وجه الخصوص المجتمع الإنكليزي، وتقترح بدلاً من ذلك، على أن يتم دراسة تاريخ التسامح بشكل أفضل على أنه جزء من سلسلة متصلة ومعقدة يمكن أن تتدفق في اتجاهين (السياسي والإجماعي). تتناول هذه الدراسة الموضوع بطريقة موضوعية وليست كورنولوجية، وتسعى إلى فحص التفاعل الثلاثي بين الأيديولوجيا (الكنيسة الرسمية) والمرسوم الرسمي (الدولة) وتسامح العقلانية العملية (التسامح الإجماعي) الذي يظهر على مستوى القاعدة الشعبية. على الرغم من صعوبات اكتشاف هذه الظاهرة المراوغة في المصادر المتوفرة، لكن ستزعم الدراسة أن هناك الكثير مما يوحى بأن المؤرخين قد استخفوا بكل من مدى وقدرة غريزة التواصل والانسجام والسلام على تشكيل العلاقات الاجتماعية. كما سنرى، فإن تطور الدفاعات المبدئية للتسامح لم يكن بالضرورة شرطاً مسبقاً لإدراكه في الممارسة العملية: في بعض الأحيان قد تكون هناك مبررات لاحقة للتغييرات التي كانت تسير بالفعل على قدم وساق، إذ لم يكن الإلتزام الطائفي لعقيدة ما، يتعارض مع التصرف الخيري في حب الجيران على الرغم من خصوصياتهم الدينية، إذ تستحق الآثار المترتبة على الانفصال المتكرر بين الخطاب الجدلي والواقع الحقيقي الكثير من الاهتمام.



About the Journal

ZANCO Journal of Humanity Sciences (ZJHS) is an international, multi-disciplinary, peer-reviewed, double-blind and open-access journal that enhances research in all fields of basic and applied sciences through the publication of high-quality articles that describe significant and novel works; and advance knowledge in a diversity of scientific fields.
<https://zancojournal.su.edu.krd/index.php/JAHS/about>

المقدمة: المناهج السابقة لتاريخ التسامح ومقاربة الدراسة. لقد سيطر السرد الويغي¹ منذ فترة طويلة على تاريخ التسامح الديني، والذي يركز على تحديد أصول القيم والمؤسسات الحديثة، إذ غالباً ما حدد المؤرخون الويغيون التسامح باعتباره قيمة إيجابية ترجع أصولها إلى التقاليد الفكرية الأوروبية، وخاصة بين المفكرين الإنكليز والبروتستانت في القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر، لكن مع ذلك يعاني هذا النهج من مشاكل جدية؛ فهو تاريخ غائي يمجّد المتسامحين الذين يشكلون الآباء المؤسسين للأفكار الليبرالية لعالمنا المعاصر، ويقدم سرداً علمانياً ومتحرراً عفاً عليه الزمن للتاريخ الفكري الحديث المبكر؛ كما يفشل في إنصاف "الخاسرين" الذين دافعوا عن التوحيد الديني؛ ويعطي الانطباع بأن التسامح كان صائباً بشكل واضح لدرجة أن صعوده كان حتمياً؛ فهو بالمجمل يبالغ في تأثير أفكار التسامح ويقلل من قوة الأحداث السياسية الطارئة (Weber, 2013; Tawney, 2015; Merton, 1938; Walzer, 1965; Hill, 1965; Hill, 2002; Jordan, 1932-40). تعرض هذا السرد لهجوم من قبل المؤرخين التنقيحيين الذين أصروا على إن الماضي ينبغي أن يفهم بمصطلحاته الخاصة عندما تكون أفكار الناس وقيمهم ووجهات نظرهم مختلفة جذرياً عن أفكارنا وقيمنا ووجهات نظرنا، ومن ثم أكدوا في دراساتهم أنه خلال معظم الفترة الحديثة المبكرة في إنكلترا، كان التعصب الديني وليس التسامح هو الأكثر وضوحاً، كما يتضح من التأثير السياسي لمناهضة البابوية والانقسامات المريرة بين البروتستانت. كما حذر التنقيحيون من أنه لا ينبغي لنا أن نبالغ في قضية التسامح الديني أثناء الثورة البيوريتانية (1640-1660)، إذ كان أوليفر كرومويل (1599-1658) وآخرون، الذين تم تصويرهم تقليدياً على أنهم مؤيدون للتسامح في أربعينيات وخمسينيات القرن السابع عشر، لديهم في الواقع أهدافهم كانت أكثر تواضعاً؛ لقد كانوا يسعون إلى تأمين الحرية للبروتستانت الأتقياء، وكان من المقرر حجب التسامح عن الأشرار وأتباع الديانات الباطلة حسب رأيهم، ولم يكونوا يسعون جاهدين إلى إنشاء مجتمع ليبرالي يتم فيه التسامح بشكل علني مع الآراء الدينية المتباينة. وبعد عودة الملكية (1660-1688)، كان التعصب المتجدد هو النظام السائد، حيث تعرض المنشقون أولاً ثم الكاثوليك لاحقاً للاضطهاد الشديد، وأولئك الذين ما زالوا على استعداد للدفاع عن قضية التسامح فعلوا ذلك بشروط محددة؛ جون لوك، أحد الأمثلة التي تم الاستشهاد بها كثيراً، حيث استبعد صراحة الكاثوليك والملحد من التسامح. لكن مع ذلك، يستتصر السرد التنقيحي نزعة غائية لهذا الموضوع من خلال الإستمرار في التأكيد على الحيوية الهائلة لنظرية التعصب الديني، وطرح نموذج فج يربط التسامح بشكل لا يرحم بمسيرة العلمنة إلى الأمام. إذ يؤكد التنقيحيون على فترة التنوير في نشر التسامح الديني، وينظرون إلى تقاليد عصر النهضة الإنسانية والشكوكية، وتفكك المسيحية بعد الإصلاح الديني باعتبارها الأحداث التي إجبرت بعض الأوروبيين على تطوير مبررات للتسامح (Grell, Israel and Tyacke, 1991; Sheils, 1984).

في هذه الدراسة سأحاول أن أتبع مساراً مختلفاً من الدراسات السابقة، وهو تناول التسامح في سياقه الاجتماعي؛ أي التسامح العملي مع المعارضين الدينيين من قبل الجيران أو الأقارب أو الأصدقاء، بالطبع كما بيّنت الدراسات التنقيحية، يمكن أن يتحول هذا الأمر إلى حالة من السوء بسرعة عندما يكون هناك دعر مناهض للبابوية أو تصاعد في الاحتجاجات السياسية ضد المنشقين (انظر على سبيل المثال: Lecler, 1960; Marotti, 1999)، لكن مع ذلك، سأجادل وبمنظور رجعي على أن الأفراد تعلموا التعايش في كثير من الأحيان حتى في غياب النظريات الفلسفية أو الأطر القانونية لإضفاء الشرعية على التسامح. سأقترح أن الصورة التي رسمها مؤرخو التسامح عن المجتمع الإنكليزي المبكر ليست دقيقة فيما يتعلق بالعبء النفسي والنبذ الاجتماعي للمحرومين والمبتورين عن جسد الكنيسة الرسمية من أفراد الطوائف المنشقة، صحيح كانت آثار هذا المنع أكثر وضوحاً عندما كان المنشقون الدينيون أقلية محاصرة مضطهدة، لكن مع ذلك، كانت هناك الكثير من الحقيقة في الادعاءات البيوريتانية² بأن عقوبة الحرمان الكنسي كانت تنطق ضد "كل تافه هين" وبالتالي أصبح سيفاً فظاً وصدناً للعدالة (Barrow, 2004, pp. 623-47; Frere, 1907, pp. 17, 33-4). بالفعل كان قدرة الحرمان الكنسي تعتمد على إكراه الجاني على افتراض أنه يرغب في أن يكون جزءاً من الكنيسة الرسمية ومجتمع الأبرشية الذي يمثله هو أيضاً في صورة مصغرة ومنمنمة، وبأخذ ذلك في نظر الإعتبار، فقد كان هناك القليل من الرعب لأولئك الذين اعتبروا كنيسة إنكلترا الرسمية بمثابة

¹ هو نهج في التأريخ ينظر إلى الحاضر باعتباره نتوياً لمسيرة التقدم، ويقدم التاريخ كرحلة من الماضي القمعي والجاهل إلى الحاضر المجيد.

² تم تعريف البيوريتانية بشكل مختلف من الناحية الفكرية أو السياسية أو الثقافية، مع ذلك، فمن الأفضل أن نفهمه على أنه إحساس ديني يتمحور حول التحول - تجديد الروح القدس للنفس - وما يصاحب ذلك من تصميم على استعادة نقاوة الكنيسة الرسولية وإصلاح المجتمع وفقاً لشرائع الرب.

مجمع هرطقي أو كنيس للشيطان وانفصلوا عنها كمسألة مبدأ، كما أدرك ذلك المسؤولون الكنسيون بقلق متزايد. فعلى سبيل المثال، اعترف أحد أساقفة الإصلاح بصراحة أن المضي قدماً ضد هؤلاء الجناة "عن طريق التوبيخ الكنسي" هو "عبث"؛ واعترف آخر بأن "المتعصبين يخافون بقدر ضئيل من الحرمان الكنسي مثل البابويين، وفي الحقيقة لا أجد طائفة تخافه كثيراً" (Reay, 1983, p. 79)؛ Williams, 1968, p. 72)، كان منع الكاثوليك أو المنشقون من طقوس كنيسة إنكلترا هو بمثابة إعطائهم عذراً قوياً لتكريمهم ورفضهم المشاركة في القداس الأنجليكاني الملوث وغيرها من الأسرار "المقدسة" و"الخرافية"، ومن ثم فإن استراتيجية الإقصاء الروحي المهين ستنتج فقط في السياق الذي يعتقد فيه الرجال والنساء أن البقاء خارج الجسد الكنسي يعني المخاطرة باللعة.

في هذه الدراسة سأجهد بأن أولي مزيداً من الإهتمام لممارسات التسامح اليومية، مع التركيز على التعايش بين أعضاء الكنائس المسيحية المتنافسة (والتي تسمى أيضاً الطوائف)، وسأقوم برصد الطبيعة العرضية والمتنوعة لأشكال التسامح والتعايش الذي كان منتشراً في المجتمع الإنكليزي، من خلال تسليط الضوء على المدى الذي تم فيه نفاذية الحدود الدينية في تفسير أشكال التعددية والتسامح، وسأجادل على الرغم من أن الخطاب الاستقطابي والإقصائي لرجال الدين في الكنيسة الرسمية والقوانين والتشريعات الحكومية ضد المنشقين والطوائف التي كانت مع خلاف دائم مع الكنيسة الرسمية، إلا أنها لم تتمكن من إحداث شرخ عدائي في النسيج الاجتماعي بين أفراد مختلف الطوائف، الذين دخلوا في علاقات ودية على أسس الجيران والمصالح والمحبة المسيحية، في أمثلة مثيرة للإهتمام بحيث يدفعنا إلى دفع المزيد من الإهتمام بالبعد الاجتماعي في دراسة تاريخ التسامح والإضطهاد الديني، باعتبارها ضرورية لفهم التسامح وممارسات التعايش في عصر النهضة والإصلاح، وبالمثل الإبتعاد عن التعميمات المبثثة التي تعودنا عليها عند دراسة التاريخ من المنظور النخبوي أو القادة الذين كانوا يمثلون الدولة أو السلطات الدينية المؤسسية فيها، ومن ثم التعامل مع أفكارهم وتوجهاتهم على أنها تمثل المسار التاريخي العام للأحداث. وقد قمت بتقسيم البحث إلى محورين فضلاً عن الخاتمة. سأتناول في المحور الأول وبشكل موجز تاريخ الإضطهاد الديني حسب النموذج التنقيحي المتمثل في الدولة ومؤسساتها الحكومية وكذلك سلطتها الدينية المتمثلة في كنيستها الرسمية، وهو سرد يشكل في الوقت ذاته نقداً للسرد الويغي الذي ركز في روايته لتلك الفترة المبكرة من التاريخ الحديث على مسار التسامح أكثر من القيام برصد الأعمال الإضطهادية التي مارستها الدولة وكنيستها مع الطوائف المنشقة والمعارضة. في حين سأستفيض في المحور الثاني في تناول السياق الاجتماعي لتاريخ التسامح والذي بدوره يشكل الهدف الرئيسي لهذه الدراسة، من خلال الإجابة على السؤال المهم: هل كان العداء المذهبي والتحيز هو في الواقع السمة المهيمنة للتفاعلات الدنيوية المتعددة التي تتكون منها الحياة اليومية؟ أم أن الصبر والود هما الكلمتين الأساسيتين الحقيقيتين لسلك الأرثوذكس³ تجاه جيرانهم غير الأرثوذكس؟

1-الدولة ومؤسستها الكنسية والسعي وراء التوحيد القسري (الإضطهاد الديني)

يحدّرنا المؤرخون التنقيحيون من أنه سيكون من الخطأ التقليل من تأثير نظرية الاضطهاد الأوغسطينية⁴ في إنكلترا في القرنين السادس عشر والسابع عشر، إذ كان الإعتقاد السائد بين اللاهوتيين بشكل عام، هي وجهة النظر القائلة أنه من الواجب الرسمي للملك والدولة اتخاذ خطوات لتصحيح الإعتقاد المنحرف (الهرطقي)، إن لم يكن القضاء على الأفراد والجماعات الذين يحملون الآراء والمعتقدات غير الأرثوذكسية (أي التقليدية)، وذلك انطلاقاً من الاقتناع بأن الرب سيعاقب المجتمعات والأمم التي تغاضت عن المنحرفين الذين يعيشون في وسطهم، ومن ثم، فإن التعصب ليس مجرد ضرورة عملية ولكن أيضاً حقاً عقائدياً عادلاً وأخلاقياً. كان الاضطهاد، بحسب إعتقاد دعاته، تعبيراً عن الحماسة العاطفية التي كان يتوقع من المؤمنين إظهارها من أجل الحقيقة وعملاً من أعمال

³ يتم استخدام مصطلح الأرثوذكسية في هذه الدراسة بمعنى المعتقدات أو الأساليب أو الأنظمة التي يقبلها أو يستخدمها معظم

الناس أو مطابقة العقيدة الراسخة (خاصة في الدين). وليس لها صلة بالمذهب الأرثوذكسي المسيحي، لذا اقتضى التنويه.

⁴ طور الأب أوغسطين (354-430 م) أول دفاع منهجي عن الاضطهاد الديني في تاريخ الحضارة الغربية، حيث أطلق على نهجه اسم "الاضطهاد العادل" لأنه برر الاضطهاد من أجل القضية الصالحة المتمثلة في إنقاذ الناس من عذاب الجحيم الأبدي. ينظر:

John R. Bowlin, "Augustine on justifying coercion." *Annual of the Society of Christian Ethics* (1997): 49-70.

الخير واللفظ لأولئك الذين قد ينزلون عن غير قصد إلى مستنقع الخطأ الذي لا يمكن إصلاحه ومن هناك يسقطون في الهاوية والجحيم الأبدي.

بهذه القناعة سعى اللاهوتيون الذين كانوا يمثلون الكنيسة الرسمية إلى إقناع الجمهور المسيحي بهذه الافتراضات، من خلال التأكيد على أن السماح للأفراد بالاستمرار في اعتناق دين باطل عن قصد لم يكن مجرد تقصير مؤسف في تحمل مسؤوليات المرء كمسيحي؛ بل كان أيضاً عملاً من أعمال العصيان للإله، وفشلاً في تنفيذ الأمر الكتابي المدوي لـ "إجبرهم على القدوم"⁵. على هذا النحو، كان التسامح مع المنحرفين عقائدياً شكلاً من أشكال القتل الروحي أو قتل النفس - ومن ثم كانت الإدانات المتكررة والمؤكدة لـ "التسامح" من قبل المعاصرين آنذاك من جميع أجزاء الطيف الكنسي بأنها ليست أكثر من لعنة. كان التقليد الكنسي - في العصور الوسطى تجاه الهرطقة والآراء الباطلة، هو رفض فكرة التغاضي عنها كسياسة "أثمة وشيطانية"، كما أعلن القس روبرت بيرسونز (1546-1610) حوالي عام 1596 "لا أعتقد أن هناك شيئاً واحداً يمكن أن يكون أكثر خطورةً أو أكثر إهانةً بحق الإله القدير في هذا العالم، من أن يسمح أي أمير بوجود الإله والشيطان معاً في مملكته" (Persons, 1690, p. 33).

في سياق ذلك العصر، كانت وصمة العار المتمثلة في الاضطرار إلى الاعتراف بعيوب المرء في حضور جيرانه مرتبطة بشكل شائع بإهانة الاضطرار إلى خياطة شارة مميزة على الملابس الخارجية للفرد، وكان الغرض منه تحذير كل من كان على اتصال بهؤلاء الأفراد من واجبه الرسمي في تجنبهم؛ ومن ثم يمكن أن تؤدي هذه الشارة بالفعل إلى تهيمش اجتماعي: في أواخر تسعينيات القرن الخامس عشر، قدم جون هيج من تشيشونت التماساً إلى أسقفه للحصول على إذن لإزالة شارته لأنه لم يكن أحد على استعداد لتوظيفه طالما كان يرتدي هذا الشعار المخزي (Davis, 1983, p. 6). كما أنه أحياناً تم تمييز بعض المنحرفين الدينيين، مثل امرأة ساوثوارك التي حقق فيها الأسقف ريتشارد فوكس في أوائل القرن السادس عشر، بشكل دائم عن طريق وسم الحرف "H" (هرطوقي) على أيديهم أو خدهم الأيسر (Houlbrooke, 1979, p. 225). تؤكد هذه الروايات وأمثالها مدى فعالية الإستراتيجية التي كان يتبعها هؤلاء الأساقفة من خلال إجبار أفراد الطوائف المنشقة عن الكنيسة الرسمية على ارتداء الملابس الملونة أو غير العادية بحيث تميزهم بشكل واضح عن جيرانهم الأرثوذكس. في هذا الصدد، يبدو الاقتراح المقدم في البرلمان لعام 1614 لافتاً للنظر بشكل خاص، إذ أن مخاوف الطابور الخامس من البابويين المنهمكين في تفكيك وتقويض الأمة الإنكليزية من الداخل، يعكس بشكل واضح مدى جدية اقتراح أن جميع الرومانيين (الكاثوليك) يجب أن يرتدوا "قبعات ونعال صفراء"، ولم يكن الهدف من ذلك مجرد جعل الكاثوليك قابليين للتحديد على الفور، ولكن أيضاً "لكي يتعرضوا للسخرية في أي مكان يظهرون فيه" (Clifton, 1967, p. 346).

كان الحرمان الكنسي يعد أعلى توبيخ تحت تصرف السلطات الكنسية، الذي كان يفرض على الشخص المحروم من حضور الطقوس الدينية وتلقي شريان الحياة للأسرار، والتي لم تقتصر حالة "البتر من جسد المسيح" على إقصاء طقسي - من العبادة والزمانة الدينية ومن خدمات الكهنوت؛ بل عرّضت الشخص لإعاقات قانونية واجتماعية كبيرة. إذ من خلال التخطيط لمصيرهم الرهيب في الآخرة، لا يمكن للمحرومين الزواج، أو تعمد أطفالهم أو دفنهم في أرض مكرسة؛ كما أنهم لم يكونوا قادرين على العمل كمنفذين وإداريين وأوصياء ولا يمكنهم رفع دعاوى في المحاكم الدنيوية، من الناحية النظرية، كان اغترابهم الروحي مصحوباً بنبذ مدني، إذ كان من المتوقع أن يعامل الأرثوذكس أمثال هؤلاء الأفراد مثل "الجثث" الحية: حتى يتم التصالح بينهم كان عليهم "التجول في الأرض كمنبوذين ومحطمون وغرباء" (Bray, 2000, p. 469). كل من اتفق معهم (باستثناء الضرورة) أو اشترى منهم أو باع منهم أو عرض عليهم العون، كان يخضع من الناحية الفنية لنفس العقوبات، استفسرت مقالات الزيارة مراراً وتكراراً عما إذا كان أبناء الأبرشية قد انتهكوا هذه القواعد من خلال تفضيل وتقدير أولئك "المعزولين جداً عن مجتمع المؤمنين" (Fincham, 1994, ii. P. 5, 16, 256)، على الرغم من أن السجلات الكنسية تفشل في تقديم الأدلة على أن هذا تم تطبيقه بشكل منهجي في الممارسة - كما سأتبته لاحقاً -، لكن

⁵ مستوحى من مثل المسيح عليه السلام في الإنجيل حول المأدبة التي أقامها رجل ثري ولم يحضرها أي من المدعوين، فأرسل الرجل خدمه "إلى الطرق السريعة والأسيجة، وإجبرهم [الناس] على القدوم" (لوقا 14:23). ينظر:

Pierre Bayle, *A Philosophical Commentary on These Words of the Gospel, Luke XIV, 23: Compel Them to Come In, that My House May be Full*. Edited, with an Introduction, by John Kilcullen and Chandran Kukathas (Liberty Fund, Inc.,

[1708] 2005), Pp. 65-287.

كان بإمكان مثل هذه الإجراءات أن تترك المرء، خاصة في المدن أو المناطق التي تكون خاضعة لقبضة قوة رجال الكنيسة، في حالة عزلة اجتماعية لا يحسد عليها، على سبيل المثال، ففي إحدى حالات عام 1628، حُرمت امرأة من مساعدة القابلات وتركت وحيدة في مواجهة أعباء الولادة (Marchant, 1969, p. 221; Reay, 1983, p. 43).

كما ساهمت الكتيبات والرسائل المطبوعة التي كانت ترعاها السلطات أو تقرها في التهميش الثقافي للأقليات الدينية، في عشرينيات القرن السادس عشر، استخدم توماس مور (1478-1535) نفس أسلوب الشيطنة في إدانة مارتن لوثر (1483-1546) على أنه "فاحش يمارس زنا المحارم، أحد أطراف الشيطان ورسول من الجحيم" ووصفه ويليام تينديل (1494-1536) كـ "وحش وكلب الجحيم من مربي تربية الشيطان" (Dickens, 1964, p. 163). تلقى القس توماس بيل (1573-1610) معاشاً ملكياً لكتابته سلسلة متوالية من الأعمال المعادية للكاثوليكية بعنوانين بذيتة في أوائل القرن السابع عشر- (Walsham, 2000. Pp. 77-88). وكان ريتشارد بانكروفت (1544-1610) العقل المدبر وراء حملة متقنة ضد كراسات مارتن ماربرليت⁶ والمشيخيين في أواخر ثمانينيات وأوائل تسعينيات القرن السادس عشر، حيث وظّف بعض كبار الساخرين شبه المحترفين في ذلك الوقت (Collinson, 1967, pp. 404-5)، وبمساعدة الكاتب صموئيل هارست (1561-1631)، أصدر أيضاً دعاية ضارة ضد "الممارسات الاحتياالية" و"عمليات الخداع الفاضحة" التي يرتكبها البيوريتانيون واليسوعيون الذين أظهروا براءة أن هؤلاء الأعداء الألداء يشتركون في الواقع في نفس الخصائص الحقيرة (Harsnet, 1599, Title page; idem, 1603, Title page). في كتاب جون روجرز (كشف طائفة رهيبة من الهرطقة الأشرار) في عام 1579، أتهم العوائليون⁷ بجريمة الزنا واللاناموسية (Rogers, 1579, sigs D4V-6V, E8r-Fiv, H3v-4r)، إذ غالباً ما كان يتم الخلط بين البيوريتانيون والهرطقة في العصور الوسطى مثل الكاثاريين والدوناتيين من قبل خصومهم المطابقين. ابتكر اللاويديون والمجادلون اللاحقون، صور كاريكاتورية مقنعة للطائفيين كمتبردين فوضويين ومتحمسين مخدوعين انخرطوا في سلوك متعصب يعيد إلى الأذهان تجربة مونستر المروعة في 1534-1535، وربما كان الخطاب العدائي والأماكن العامة السيئة التي سادت فيها مثل هذه النصوص والخطابات، من أكثر مظاهر التعصب الرسمي غدراً واجحافاً بحق الطوائف المنشقة (مهمدا والجوادي، 2023، ص ص 98-11؛ Mahmada, 2023, pp. 1212-26).

علاوة على ذلك، ارتبطت عمليات التمييز والاستبعاد القانوني والروحي وأحياناً الاجتماعي هذه باستراتيجيات التشهير المتعمد، إذ تم استنكار الطقوس في المناسبات العامة وفي الدعاية الرسمية، وتم وصم الهرطقة والمنشقين بشكل منهجي على أنهم أشرار وخطرين، إن لم يتم استنكارهم حرفياً أو مجازاً كعملاء للشيطان. غالباً ما كان يعلن القضاة الذين ترأسوا محاكم الجناة في ميدلسكس في عامي 1588 و 1592 أن الجناة "قد أغواهم الشيطان وتأثروا بتحريضه"، وهي عبارة قضائية مبتذلة يتم التذرع بها بشكل روتيني في الحكم على القتلة وغيرهم من المجرمين (Jeaffreson, 1886, pp. 181, 207). وهي أيضاً مزاعم مماثلة انتشرت في الخطب الأسقفية التي أُلقيت من منابر بارزة في لندن، ولا سيما في ذكرى العناية الإلهية في اكتشاف واحباط مؤامرة البارود في عام 1605 ضد الملك جيمس الأول (1603-1625) وأعضاء برلمانته. كما أن الليتورجيا (الطقوس والشعائر) التي صدرت لإستخدامها في الاحتفال السنوي بهذا

⁶ عدد من المنشورات المجهولة المصدر (سبعة منها موجودة) الصادرة في الفترة من 1588 إلى 1589 من مطبعة سرية، والتي تحتوي على هجمات بأسلوب لاذع وساخر على الأساقفة، وتدافع عن نظام الانضباط المشيخي. وتعد هذه المقطوعات من بين أفضل الأعمال النثرية الساخرة في العصر الإليزابيثي. تم القبض على المؤلفين المشتبه فيهما، تم إعدام الأول وتوفي الأخير في السجن ونفى مساعدتهم. ينظر:

Black, Joseph. "The Rhetoric of Reaction: The Martin Marprelate Tracts (1588-89), Anti-Martinism, and the Uses of Print in Early Modern England." *The Sixteenth Century Journal* (1997): 707-725.

⁷ هم أتباع هندريك نيكلاس، تاجر هولندي من القرن السادس عشر، اعتبرت الطائفة العوائلية-Familism أن روح المحبة الإلهية بداخلها وضعتها فوق الكتاب المقدس والعقائد والليتورجيا والقانون. في عام 1560، اضطر نيكلاس إلى الهروب إلى إنكلترا، وهناك اكتسبت حركته أتباعاً على الرغم من استياء الأرثوذكس منها. كانت هناك بعض الإجراءات الحكومية ضدهم في عهد إليزابيث الأولى وجيمس الأول، لكن على الرغم من انقراض الطائفة في القرن السابع عشر، إلا أنها أثرت بقوة على مجموعات متطرفة مماثلة. ينظر:

Martin, Joseph W. "Elizabethan Familists and English Separatism." *Journal of British Studies* 20, no. 1 (1980): 53-73.

الخلاص المعجز، نسبت أيضاً المؤامرة صراحةً إلى مكر شيطاني، حيث تم وصف المحاولة، بأنها كانت تخطيط لتنفيذ المذبحة "العمل الأثم" الذي تفقس في الجحيم بحد ذاته (Church of England, 1606, sig. D2r-v).

في أوائل ثمانينيات القرن السادس عشر، جعل جون وولتون، أسقف إكستر، عشرين من أفراد العوائلية يتراجعون عن آرائهم الدينية في الكاتدرائية في عرض جماعي للندم الطقسي، كما لم يكن التخلي عن الولاء لكنيسة روما الذي كان مطلوباً من الراضين⁸ غير المطابقين أقل تأديباً (Questier, 1996, p. 110). اضطر المتنبي، جون إيرينجتون، للوقوف تحت المنبر في الهواء الطلق في بولز كروس لمدة ثلاث ساعات بينما يشجبه ستيفن دينيسون، قسيس سانت كاثرين كري، باعتباره هرطوقياً وعوائلياً وأنابابتيستياً، بعدها تم إرفاق ورقة على صدره مكتوب عليها بشكل مهين كلمة الهرطوقي "مكتوبة بأحرف كبيرة-HERETIC" (Lake, 2001, p. 2).

على الرغم من أن بعض الأساقفة الإليزابيثيون في وقت لاحق قد استخفوا بهذا الإجراء على أنه "وخز في بطانية" و"دبوساً في ملاءة" واشتكوا باستمرار من عدم فعالية هذا "التوبيخ الصياني" (Frere and Douglas, 1907, pp. 17, 34)، إلا أن هناك أدلة تشير إلى أن الخوف من سخرية أقرانهم يمكن أن يكون حاداً، على سبيل المثال، أخبر توماس مور كيف أن أحد مواطني مدينة لندن من شارع باتيرنوستر قرر أن يلقي بنفسه في بحر بدلاً من مواجهة انتقادات زملائه المواطنين، كما في عهد هنري الثامن، هدد هرطوقي لينكولنشاير بقتل نفسه إذا تعرض لهذا الحفل المهين (Smart, 1986, p.5). بل كانت كلمة "البيوريتان" هي في حد ذاتها دليل على عدم التسامح، لأن كلمة "البيوريتان" كانت مصطلحاً يستخدم للإساءة، إذ تم وصم البروتستانت المتحمسين بها الذين أحبوا أن يفكروا في أنفسهم على أنهم "أنقياء"، وبالنسبة للعديد من المعاصرين لتلك الأحداث، كان التدين الصارم لـ "النوع الأكثر سخونة من البروتستانت" أكثر من أن يحتمل أو يطاق (Lake, 1996, p. 182).

في حالات أخرى، قد يكون احتمال أن تصبح أضحوكة كافياً لإحداث تغيير سريع في المعتقد، إذ في ثقافة كانت تكثر كثيراً بالشريف والسمعة والائتمان، يجب ألا تقلل من قوة التكفير عن الذنب لجلب الجناة إلى الاعتراف بالخطأ بطرقهم. بالنسبة للرجال والنساء من الرتب المتوسطة والعليا في المجتمع الإنكليزي، فإن الغموض المتمثل في الاضطرار إلى الاعتراف بخطأ المرء كان يفسد بشكل خاص الكرامة والاحترام الذي يطالبون به بحكم وضعهم الاجتماعي، وربما كان هذا هو السبب في استمرار استخدام هذه الأشكال المخرجة من الاعتذار العلني من قبل المحاكم ضد كل من غير المطابقين والخطاة سيئي السمعة حتى نهاية القرن السابع عشر- (Postles, 2002, Ch. 3 للحصول على بعض الأمثلة المميزة، انظر: Emmison, 1973, pp. 281-91; Hall, 1907, pp. 263-77).

2-التسامح العملي بين الجيران (البعد الاجتماعي للتسامح)

إن السرد التنقيحي عن أهوال الإضطهاد الديني في عهد ملوك آل تيودور (1509-1603) وآل ستوروات (1603-1649) قد يدفعنا إلى المبالغة في التفكير عن الإكراه الديني الذي كان يمارس في تلك الفترة، إذ بالفعل كما عرضنا قبل قليل بشكل موجز عن الممارسات الكنسية والسياسات الحكومية للتاج الإنكليزي ضد أبناء الطوائف التي كانت على خلاف مع الكنيسة الرسمية في سعيها إلى فرض التوحيد القسري على جميع الطوائف من أجل التطابق مع ليتورجيا الكنيسة الرسمية، لكن مع ذلك، فإن تغطية معاملة أبناء الطوائف فيما بينها -خاصة في المجتمع الريفي- تعطينا صورة أكثر ثراءً وتعقيداً لمواقف تلك الطوائف من بعضها البعض، وبالتالي تظهر كيف أن نسيج العلاقات الاجتماعية كيف كان يطغى فوق شقوق الأيديولوجيا التي كان يتم فرضها عليهم من قبل الحكومة وكنيستها الرسمية. في الواقع، وإذا قمنا بعكس زاوية التركيز من المدن المركزية التي كانت خاضعة لقبضة الحكومة ورجال الكنيسة، إلى المجتمعات الريفية فإن الصورة التي سنحصل عليها لا تعكس الصور النمطية التي عودنا عليها السرد التنقيحي لتاريخ التسامح من خلال التأكيد على قوة الإضطهاد والإكراه الديني والتوحيد القسري الذي مارسه الحكومة متمثلة في كنيستها الرسمية في تلك الفترة. ويبدو واضحاً أن السرد التنقيحي في نقده للسرد الويغي حاول أن يؤكد على غرابة عالم القرن السادس عشر عن عالمنا المعاصر، من خلال التأكيد على ممارسات الإضطهاد المتمثلة في المحارق التي أحيها رجال الكنيسة ضد أبناء الطوائف المختلفة، لكن مع ذلك، يجب أن لا ننقع في فخ طبيعة الإضطهاد الذي يجذب بطبيعته الإنتباه، إذ حرق هرطوق واحد يمكن أن يحجب علينا العديد من أعمال التسامح على المستوى الاجتماعي. ومن هنا ننقع في المفارقة التاريخية من خلال قراءة التاريخ من منظور خط مستقيم من خلال

⁸ هم الكاثوليك الذين ظلوا مواليين للكنيسة الكاثوليكية ورفضوا حضور خدمات كنيسة إنكلترا بعد الإصلاح الإنكليزي.

التركيز على الإضطهاد الرسمي الذي مثلته الدولة بكنيستها الرسمية، متجاهلين حقيقة التاريخ الإجتماعي أو بالأحرى تاريخ الناس الذين كانوا يمثلون غالبية السكان، وما شهدته من حقيقة التنوع والتعايش بين الطبقات الإجتماعية⁹. سأستفيض في هذا المحور في سرد مواقف عن الأوضاع الدينية أثناء فترة الدراسة (1509-1640)، وسأجادل على أن الحالة الدينية في السياق الإجتماعي شهد حالة متجانسة من ما سأسميه بـ "التسامح العملي" بين الجيران في مختلف المناطق الإنكليزية. أعتز، كما بيّنت سابقاً، أنه كان هناك نوع من الإضطهاد الذي تعرضت له الطوائف في إنكلترا، التي كانت تمارسها الدولة وكنيستها الرسمية، لكن مع ذلك، يجب علينا أن لا نغفل عن حقيقة أن هذا الاضطهاد كانت إحدى استراتيجيات الدولة وكنيستها الرسمية في محاولة إخضاع جميع الرعايا لنوع واحد من المؤسسة الدينية والتي كانت الى حد بعيد متجانسة مع كيان المدني للدولة. يجب أن لا نغفل عن الجانب الإيجابي أو الصورة المشرقة للتسامح العملي بين أفراد مختلف طبقات المجتمع الإنكليزي.

لكن قبل البدء يجب أن أنوه إلى أن هناك مسار قريب جداً من المسار الذي سأتبعه، لكنه مع ذلك مختلف، وهو المسار الذي يغطي المواقف التي تبنتها أبناء الطوائف المنشقة عن الكنيسة الرسمية، ومحاولاتهم للتفاوض حول قيود وتحديات الملاحقة المدنية والكنسية - من الاستشهاد والتمرد والهجرة إلى الإخفاء والمراوغة وأشكال التوافق الجزئي والعرضي. لذا، سأأخذ بنظر الاعتبار العوامل والافتراضات التي أثرت في الخيارات التي اتخذها الأفراد من مختلف الطوائف والتوترات التي أحدثتها هذه الاستراتيجيات المختلفة للمقاومة والتسوية، وآثارها الأوسع على العلاقات بين الدولة والكنيسة من جهة والطوائف وتأثيرها عليها من جهة أخرى. إذ أن هذا الموضوع قريب جداً لكنه، مع ذلك، يتعلق بالآثار العكسية للاضطهاد والدور البارز الذي لعبه في صياغة وتشكيل الهويات الطائفية داخل المجتمع الإنكليزي.

تظهر الدراسات الحديثة عن التاريخ الاجتماعي والإقتصادي للطوائف المنشقة عن الكنيسة الذين كانوا متهمين بالهرطقة والرفض، أن أبناء هذه الطوائف كانوا يتميزون بمكانة جيدة بين طبقات مجتمعاتهم التي عاشوا وتمتعوا بنوع من التسامح الاجتماعي داخل مجتمعاتهم خلال عمليات التطهير التي قامت بها الحكومة وكنيستها الرسمية في أوائل القرن السادس عشر. (Aston, 1964, pp. 149-70; idem, 1984; Baker, 1979; Houlbrooke, 1986, pp. 171-89; MacCulloch, 1990; Questier, 1996, Tyacke, 2003; Lutton, 2006). فعلى سبيل المثال، أولئك الذين تحدث عنهم جون فوكس (1516-1587) في كتابه (*Actes and monuments of matters*) (1587-1516) في كتابه (*most speciall and memorable, happenyng in the Church*) عام 1583، سواء الذين اتهموا بالهرطقة أو الرفض لاحقاً، كانوا أعضاء مهمين في مجتمعاتهم، ويتمتعون بمكانة مالية واجتماعية عالية (Foxe, 1583, IV, p. 242)، وعلى الرغم من اختلاف معتقداتهم في اتصالاتهم الواسعة الانتشار، وفي ارتباطاتهم الوثيقة والسرية، تم استيعابهم في مجتمعاتهم اقتصادياً واجتماعياً وأن إنشقاقهم أو هرطقتهم لم تؤد إلى نبذهم من مجتمعاتهم (Ibid, IV, p. 222). علاوة على ذلك،

⁹ في هذه الدراسة حاولت أن أقوم بسرد التاريخ من منظور السياق الاجتماعي، وأن أفسر الأحداث التاريخية من منظور عامة الناس بدلاً من القادة، أهتمت بتاريخ المحرومين، والمضطهدين، والفقراء، وغير المطابقين مع الكنيسة الرسمية، والمجموعات الهامشية. للمزيد من التفاصيل حول هذا النوع من السرد التاريخي انظر:

Adrian Wilson, ed. *Rethinking Social History: English Society 1570-1920 and its Interpretation* (Manchester, 1993); Miles Fairburn, *Social History : Problems, Strategies and Methods* (Basingstoke, 1999); Peter Borsay, 'New approaches to social history : myth, memory and place: Monmouth and Bath 1750-1900', *Journal of Social History* (Spring 2006), 867-89; Edward Palmer Thompson, *The making of the English working class* (Open Road Media, 2016); Staughton Lynd, *Doing history from the bottom up: On EP Thompson, Howard Zinn, and rebuilding the labor movement from below* (Haymarket Books, 2014); Anthony Fletcher, "'englandpast.net": a framework for the social history of England', *Historical Research*, 75 (2002), 296-315; Harold Perkin, 'Social History in Britain', *Journal of Social History*, 10, 2 (Winter 1976), 129-43.

كان العديد من المتهمين باللولارية¹⁰ خلال تلك الفترة الذين كانوا بلا شك يعدون "هراطقة" بالنسبة الى الدولة وكنيستها الرسمية؛ إلا أنهم لم يكونوا أعضاء غير مهمين في مجتمعات معزولة، إذ تم العثور عليهم بين جميع مستويات المجتمع الريفي والمحلي وتم دمجهم بالكامل في هذا المجتمع، إذ أن معتقداتهم، التي يجب أن تكون معروفة لجيرانهم الأرثوذكس، لم تتسبب في نبذهم (Plumb, 1987, pp. 15-29; Brigden, 1989, p. 87)، وهو ما دفع بعض الباحثين إلى أن يقترحوا فرضيات جامحة، إذ بحسب اعتقادهم، فإن هذه الأدلة على الروابط مع الأفراد الذين كانوا في طليعة التطورات أثناء الإصلاح الإنكليزي (Bowker, 1981; Haigh, 1987; MacCulloch, 1986; Scarisbrick, 1984; Youings, 1984)، يجب أن تعزز حجج أولئك الذين يسعون لإثبات أهمية اللولارية في التغييرات اللاهوتية في عشرينيات وثلاثينيات القرن السادس عشر (الإصلاح الإنكليزي) (Hill, 1978, Ch. 3; Rex, 2002, Ch. 5).

المؤرخة الإنكليزية جويس يونينجز، خلال دراستها للتاريخ الاجتماعي والاقتصادي للقرن السادس عشر، مع قبولها أن اللولاريين، جنباً إلى جنب مع "الجماعات الإصلاحية" اللاحقة، "أدت إلى تكوين زمالات منفصلة، مجموعات خفية" أو "سرية"، ومع ذلك ادعت أن "لولارديي تيودور الأوائل كانوا في الغالب حرفيين متواضعين، قادرين على الحفاظ على انفصال معين عن المجتمع ككل" (Youings, 1984, p. 180). طور المؤرخ الإنكليزي كريستوفر هاي بعد ذلك الفرضية أكثر وأشار إلى أنه "عادة ما يتم اختيار اللولاريين من النساجين والحرفيين الآخرين"، وأنهم "يظهرون أن هناك منشقين من الكنيسة في أواخر العصور الوسطى"، إذ بالفعل كان بعضهم منظمًا في طائفة سرية، ويمضي في الادعاء بأن اللولاريين "كانوا مكروهين كثيراً من قبل جيرانهم الأرثوذكس" (Haigh, 1987, p. 5).

يبدو أن هذا الادعاء قائم على افتراض بسيط وهو أن لدينا القليل من الأدلة على مشاركتهم في الإصلاح السائد كما نفهمه، لكن مع ذلك، يبدو أن وجود مجموعات لولارية كبيرة نسبياً في مناطق ذات كثافة سكانية عالية ومركزية مثل إسكس، ولندن، ووادي التايمز، وكينت، يحول دون مثل هذا الإدعاء لوضعهم وأهميتهم للأحداث في إنكلترا، فوجودهم في مناطق ذات كثافة سكانية عالية، يعد من الخطأ استبعادهم، كما يفعل، للأسف، العديد من المؤرخين. إذ إن وجود حالات تثبت تعرض أتباع الطوائف للاضطهاد البدني أو المالي على يد السلطات العلمانية أو الكنسية ليس دليلاً على الصورة القاتمة التي تم ترويجها عن التاريخ الاجتماعي أو الثقافي للمجتمع الإنكليزي في القرنين السادس عشر والسابع عشر، بل على العكس من ذلك فإن التاريخ الاجتماعي يعرض لنا في كثير من الحالات وجود أفراد من هذه الطوائف ذوي المكانة الرفيعة في مناطق كانت هي في طليعة التطورات الراديكالية في خمسينيات القرن السادس عشر (Dickens, 1964, Chs. 2,7; Hill, 1978, pp. 49-67).

كان أفراد الطوائف المنشقة في القرن السادس عشر، بعيداً عن كونهم غرباء داخل مجتمعاتهم -بعيداً، في الواقع، عن كونهم "شبه وثنيين" في حالة اللولاريين-، كانوا جزءاً لا يتجزأ من الأبرشيات والنجوع التي سكنوها، وكانوا منخرطين بشكل كامل في الأمور العلمانية والكنسية داخل مجتمعاتهم وتجمعاتهم، وهو ما يدل على وجود التسامح الاجتماعي بين طبقات المجتمع الإنكليزي. ربما كانت النقطة الأكثر أهمية التي ظهرت من دراسة ديريك بلامب هي الانتشار الاجتماعي الواسع لبعض الطوائف، والثراء النسبي للعديد من أولئك المشتبه بهم بالهرطقة، حيث كانت هناك اختلافات من قرية إلى قرية ومن مدينة إلى أخرى بالطبع، لكن في بعض الأماكن، يبدو من المرجح أن أتباع بعض الطوائف، على سبيل المثال اللولارية، وبسبب التسامح العملي الذي لاقوه من جيرانهم الأرثوذكس، انتشروا بين جميع المستويات الاجتماعية والاقتصادية للمستوطنة، كما هو الحال في هيغيندين في باكينجهامشير، وريكمانزورث في هيرتفوردشاير (Plumb, 1987, pp. 169-187).

كانت الطائفة اللولارية في بدايتها قوية جداً، وتشكل جزءاً مهماً من المجتمع؛ لكن في القرن السادس عشر- كانت على ما يبدو مجموعة أصغر، لكنها كانت متباينة اقتصادياً، حيث في الأبرشيات الأخرى، بينما لا يزال اللولاريين موجودين بين جميع المستويات الاقتصادية، يبدو من المحتمل أن الغالبية كانت من القطاعات الاقتصادية العليا من المجتمع، كما في نيوبوري وهيغلي، حيث انتشروا بحرية بين جميع المستويات الاقتصادية والاجتماعية في الأبرشية، داخل معاقل مثل أميرشام، حيث أداروها إلى حد كبير، علاوة على

¹⁰ في الأصل، أولئك الذين تأثروا بآراء اللاهوتي الإنكليزي جون ويكلييف بجامعة أكسفورد، ومن ثم أصبح مصطلح لولارد يُطبق بمعنى أكثر مرونة على أولئك الذين ينتقدون الكنيسة والمتعاطفين مع المبادئ الإصلاحية المختلفة، استخدمت تسمية اللولارد بشكل ازدراخي، إذ هو مشتق من الكلمة الهولندية الوسطى lollaert ("متمتم"). ينظر:

John Charles Carrick, *Wycliffe and the Lollards*. (T. & T. Clark, 1908).

ذلك، من خلال النظر إلى الجداول العديدة التي أوردتها بلامب يمكن ملاحظة الانتشار الواسع لأولئك المشتبه بهم بالهرطقة بشكل ملحوظ عبر المستويات الاقتصادية للعائد المالي الأكثر شمولاً في فترة الحديثة المبكرة (Plumb, 1987, pp. 320-323). وفي دراسات أخرى، نرى أيضاً عدد الأشخاص الذين وردت أسماؤهم بالفعل أثناء عمليات التطهير كانوا من أفراد ميسوري الحال في مجتمعاتهم، إذ تظهر الأرقام أن ما يقرب من 20 في المائة من اللولارديين المشتبه بهم وأقرب عائلاتهم تم العثور عليهم بين أبناء الطبقة الإقتصادية العالية في مجتمعاتهم طوال القرنين السادس عشر والسابع عشر (Spufford and Takahashi. 1996, Pp. 400-404).

هناك أبرشيات يجب أن يكون أتباع الطوائف المنشقة قد أثروا فيها على جميع جوانب الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية؛ خاصة عندما ننظر إلى أرقام بعض الطوائف في إطارها الاجتماعي والاقتصادي يصبح التأثير الحقيقي واضحاً. فعلى سبيل المثال، كان هناك بالفعل متعاطفون فقراء مع اللولارديين: تقريباً مثل أولئك الذين يخضعون للضرائب في المجتمع ككل، لكن اللولارديين المهمين، بالطبع، كانوا أولئك الأفراد المؤثرين بين المستويات الاجتماعية المتوسطة والعليا الذين كانوا أفضل تمثيلاً بين أقرانهم الاقتصاديين في المجتمع بشكل عام. وبسبب وجود هذا المناخ من التسامح العملي من قبل هؤلاء "المتعاطفين الفقراء" مع اللولارديين، "الشخصيات الجوهرية والمستقرة في أعين من حولهم"، فإن المجموعة اللولارديية قد رسخت جذوراً راسخة في شيلترن، إذ كان هناك تحيز نسبي طفيف تجاه أفراد المجتمع الأكثر ثراءً (Davies, 1991, P. 206). وبالتالي إن الادعاء المعاصر الذي يعتبر اللولارديين مجرد "نساخين ودراسين"، غير دقيق، بل كان هناك عدد كبير جداً من دافعي الضرائب الريفيين الأثرياء من بينهم؛ بالطبع، لا يمكننا أيضاً اعتبارهم فقط "النخبة الريفية"، لكن يمكن التأكد من أن اللولارديية كانت هرطقة تغلغت في المجتمع المحلي وامتدت عبر الهيكل الاجتماعي والاقتصادي بأسره في المناطق التي تجذرت فيها (Cressy, 1986, pp. 38-69; Plumb, 1995, pp. 162-163).

ربما تكون أكثر النقاط غير المتوقعة التي يلفت بلامب انتباهنا إليها هي الاندماج الكامل على ما يبدو للولارديين داخل مجتمعاتهم المحلية، وكذلك داخل كنيستهم المجمعمة، ويعتمد جزء من هذا التكامل (التسامح العملي-الإجتماعي) على الوضع الاقتصادي المتفوق لـ 20 في المائة منهم بالطبع؛ السادة الذين امتلكوا قصوراً ثانوية، كان لهم تأثير، لكن العديد من اللولارديين كانوا أيضاً خدماً للكنيسة في أبرشياتهم، وفي المدن كانوا عبارة عن برجوازيين، وحجاب المحاكم، وأعضاء نقابة (Plumb, 1987, pp. 174, 202, 252, 148-51). في الواقع، لم ينفصلوا عن مجتمعاتهم بل اندمجوا فيها عبر الطيف الاجتماعي والاقتصادي بأكمله، ويثبت هذا التكامل أنه أحد أكثر النتائج إثارة للدهشة والمثمر في هدف هذه الدراسة، بالإضافة تشجعنا على التقليل من الإعتماد على المصادر التي تركز على المصير المروع للطوائف المنشقة عن الكنيسة المتمثل في الاختناق بسبب وفرة الحكايات غير المهضومة، لكن في الحقيقة، تدفعنا هذه النتائج على عدم الإسراف في سردها أكثر من رفضها.

من المثير للإهتمام أن عدداً كبيراً من أرباب الأسر داخل المجموعات الاقتصادية المختلفة شهدوا وصايا بعضهم البعض أكثر من رؤساء الأسر في نفس المجموعات الاقتصادية، وبالتالي، فإن الوصايا التي تركها أتباع مختلف الطوائف قد تشكل أدلة مهمة لتدعيم حجتنا على تأكيد التسامح الاجتماعي الذي كان سارياً بين أبناء المجتمع الأيرشي. لم يكن الشهود دائماً، على الرغم من أنهم كانوا عادةً، شهوداً على رجال يحتضرون كانوا أفقر منهم، إذ في بعض الأحيان كان يتم استدعاء الفقراء ليشهدوا الأكثر ثراءً. إن كتابة الوصية وتداول الأرض والبضائع، والمشاركة في الأنشطة اليومية في الأبرشية؛ تدل بشكل واضح على أن "الهرطقة" اللولارديين كانوا موجودين، ويتم التعامل معهم من قبل زملائهم وجيرانهم، الذين كانوا، على ما يبدو، أرثوذكسيين في معتقداتهم. كانت العديد من الوصايا الدينية (بلغ مجموع الوصايا التي ناقشها بعض الدراسات حوالي 1600 وصية) في القرن السادس عشر تشير إلى رفض العطاء للكنيسة أكثر مما تشير إلى عدم القدرة على القيام بذلك. على سبيل المثال، تلقت إيزابيل ابنة هايند 20 جنيهاً إسترلينياً، وحصل كل حفيد (من بين العديد) على 13 جنيهاً إسترلينياً و6 شلن و4 بنس، بينما الخادمة، أليس سمارت، تلقت 10 جنيهاً إسترلينياً، والكاتب الوحيد الذي ظهر في الوصية كان مندوباً، وهو القس جورج بارتون من برادفيلد. واللافت للنظر، هو أنه تم اتهام العائلات والأفراد المذكورين أعلاه بالهرطقة، أو لديهم اتصالات شخصية واجتماعية وثيقة مع هؤلاء الأشخاص، مع ذلك، يبدو أنهم جميعاً احتفظوا بمكانهم في المجتمع بشكل عام، لا سيما فيما يتعلق بالدين. والشيء المذهل هنا هو حضور القس والذي من المفروض أن يمثل الكنيسة في برادفيلد وأن يوشي إلى السلطات الكنسية بأسماء هؤلاء الهرطقة لسحقهم وفرض الغرامات عليهم وربما مصادرة ممتلكاتهم، لكن على النقيض من ذلك، وعلى الرغم من أن السلطات الكنسية كانت قد حرمت على قساوستها أن يحضروا جنازات أتباع الطوائف المنشقة أو الهرطوقية، أو أن يكون موجودين أثناء كتابة الوصية ومن ثم الإحتفاظ بها إلى أن يفرغو من دفن الميت وبعد

ذلك يشرف على قراءة وصية الميت من أجل تقسيم تركته بين ورثته، علاوة على ذلك، يبدو للوهلة الأولى أن وجود هذه الوصايا تدل على أن مثل هؤلاء اللولارديين كانوا من النوع "الأفضل" أو "الزعماء" (; French, 1993; Plumb, 1987, pp. 248, 261-264, 409-411;)، أو بعبارة أخرى كانوا في الغالب أعضاء مهيمينين في مجتمعهم، ولديهم عقارات كبيرة واتصالات مع جميع أبناء المنطقة حتى القساوسة، ويظهر بوضوح أن الثروات الكبيرة التي كان يتمتع بها أمثال هؤلاء اللولارديين تساعدهم في الحفاظ على معتقداتهم "الهرطقية".

أمثلة أخرى من الوصايا التي تم فحصها من قبل الباحثين في دراساتهم الاجتماعية والاقتصادية عن المجتمع الإنكليزي الحديث، هي حالة بينيت في موستر من أمرشام، الذي كان في وضع مالي جيد، إذ تم إدراجه بأرض تبلغ قيمتها 15 شلن وبضائع بقيمة 6 شلن، وبحسب ضريبة الإعانة، كان يتم فرض ضريبة عليه قدرها 8 جنيهات إسترلينية، وعلى الرغم من تاريخه الهرطقي، فقد كان مشرفاً على القيم على أميرشام. قدم بينيت وصيته في 10 آذار 1544، في أميرشام، تاركاً روحه لـ "الإله القدير خالقي ومخلصي واثقاً بالإيمان الذي لدي في مخلصي للخلاص"، وترك 2 بنس إلى لينكولن و4 بنس إلى المذبح العالي في أمرشام، بالإضافة إلى ذلك، أعطى الكنيسة قماش مذبح، "السعر 3 شلن و4 بنس"، وكان على الفقراء الحصول على 3 شلن و4 بنس بدون قيود وانفاق 3 بنس على الطرق السريعة، وتلقت ابنته أليس، التي لم تبلغ العشرين من العمر بعد، 10 جنيهات إسترلينية عند بلوغها ذلك السن، والتي كان على ابنه توماس دفعها لها من التركة. وفي حالة أخرى، طلب روجر زوج جوان من "قسيس أغموندشام أميرشام" مع وكيل الكنيسة، في حالة عدم وجود ورثة له، أن يبيعوا الأراضي والمسكن ويوزعون قسم من هذه الأموال التي يتم جمعها من البيع على الناس والقسم الآخر لـ "صيانة الطرق السريعة"، والقسم "الثالث إلى كنيسة أغموندشام". وفي وصيته، وروبرت فليمنج، في عام 1525، ترك تركته للدير في ميسيندين (Plumb, 1995, pp. 146-149). اللافت للنظر من مثل هذه الوصايا أن صاحب إحداها كان يشغل منصباً في أحد الأرياف، ولولا أنه كان يحظى بنسبة عالية من التسامح الاجتماعي بين أفراد مجتمعه لما استطاع من الاحتفاظ بمنصبه رغم معتقداته المخالفة لأبناء الريف، لكن كما ذكرنا من قبل كانت المكانة الاقتصادية لهؤلاء تعينهم على الاحتفاظ بمعتقداتهم غير الأرثوذكسية. في الواقع، تساهم الظروف المادية التي يكبر فيها الناس ويعيشون فيها تأثيراً كبيراً على هوياتهم الشخصية والاجتماعية وأن هذا يؤثر على طريقة تفكيرهم وشعورهم تجاه بيئتهم الاجتماعية والجوانب الرئيسية لسلوكهم الاجتماعي. وبالنسبة لنظرائهم من الطبقة الوسطى، فإن الأفراد من الطبقة الدنيا هم أقل احتمالاً لتعريف أنفسهم من حيث وضعهم الاجتماعي والاقتصادي ومن المرجح أن يكون لديهم مفاهيم ذاتية مترابطة؛ هم أيضاً أكثر ميلاً لشرح الأحداث الاجتماعية من حيث الظرفية، نتيجة لانخفاض الإحساس بالسيطرة الشخصية، لذا، يحصل أفراد الطبقة العاملة على درجات أعلى في مسائل التعاطف ويتلقون المساعدات من الآخرين عند تنزل بهم ضائقة اجتماعية أو اقتصادية. تتبين من الأدلة أن وجهة النظر السائدة في المجتمع الإنكليزي بأن أفراد الطبقات الاجتماعية المختلفة أكثر تحيزاً تجاه بعضهم البعض من السلطة العلمانية والكنسية. ويظهر ذلك بشكل واضح عندما أمرت الوصية بأن تخصص قسم من التركة للناس الفقراء وهو ما يدل على احتفاظ هؤلاء اللولارديون بعلاقات جيدة مع المحيط الديني الذين كانوا يعيشون فيه، وهو أيضاً دليل على ما نسميه بالتسامح العملي الذي كان ظاهراً في تعاملات الناس العاديين مع مخالفيهم في المعتقد، وبعبارة أخرى، فإن الاختلافات الطبقيّة الاجتماعية في الهوية والإدراك والمشاعر والسلوك تجعل من غير المرجح أن يستفيد أفراد الطبقات المختلفة من اللجوء إلى نبد بعضها البعض على حساب تحسين ظروفها المعيشية، وهذا يعني أن سياسات التسامح العملي ضرورية لكسر حلقة الحرمان التي تحد من الفرص المعيشية وتهدد التماسك الاجتماعي.

على المستوى الإجرائي، كان هناك دائماً احتمال لحدوث فجوة كبيرة بين نص القوانين المناهضة للانحراف الديني والوضع على مستوى القاعدة الشعبية. إذ إن الإجراءات التي أعطت أشواكاً للأيديولوجية المضطهدة للكنيسة والدولة في القرنين السادس عشر والسابع عشر لا يمكن زيادة حدتها فقط من قبل المسؤولين المكلفين بتنفيذها. فعلى على سبيل المثال، كان من مسؤولية الأساقفة والقساوسة استخدام كل جهد لثني المنشقين عن آرائهم الخاطئة قبل اللجوء إلى العقوبات الروحية أو الجسدية، وبالتالي كان الإقناع اللطيف يسبق الاضطهاد العنيف. كان الحوار الودي مع الضال أحد أطراف الطيف الذي انتهى بالحرمان والتنفيذ - وكانت عملية تضمنت الأخذ والعطاء من كلا الجانبين، و فقط عند الفشل يتم تحويلهم إلى القضاة ليواجهوا الذراع الحكومي الذي لا يرحم. لكن للأسف، غالباً ما يتم تجاهل هذا من قبل المؤرخين الذين ينجذبون إلى تلك اللحظات التي فشلت فيها جهود التوفيق والتحكيم في تحقيق هدف التراجع أو التحول، ومن ثم رصد حالات سجن الرجال والنساء الذين رفضوا بعناد

التخلي عن قناعاتهم الأرثوذكسية، ووقوفوا جسدياً، أو سلموا إلى المشنقة أو تم حرقهم على الوتد. لذا، من المهم أن نتذكر الملاحظة التي نبهنا إليها المؤرخ الإنكليزي أليك ريري أن "حرق مسيحي مُعمد بسبب هرطقة عنيدة كان يمثل فشلاً رعوياً كارثياً" (Ryrie, 2003, p. 81)، ومن ثم من الأفضل لنا أن نركز على المرونة التي أظهرتها الكنائس والمحاكم الحكومية في محاولاتهم لاستعادة التوافق الديني. إذ كثيراً ما سُئلت مقالات الزيارة Visitation articles عما إذا كان رجال الدين قد جاهدوا لاستعادة أبناء أبرشياتهم الذين وقعوا "في خطر الخلاص" وإدخالهم "في إيمان وإعتراف وجسد الكنيسة"، حيث كان يتم تكليف القساوسة بعقد "اجتماع هادئ ومعتدل" لثني غير المطابقين عن الأخطاء التي دفعتهم إلى التخلي عن الكنيسة الرسمية (Fincham, 1994, i. p. 57, ii. P. 197). فعلى سبيل المثال، أوصت مذكرة من أواخر سبعينيات القرن السادس عشر بأن "يُمنح هؤلاء المتخلفون والفاقدون في الدين مدة شهرين، بعد تعامل جيد من قبل رجال تعلموا بشكل كافٍ" (Taylor, 1999, p. 72).

علاوة على ذلك، عامل الأسقف ويليام أتواتر الهرطوقيين في وادي التايمز بشكل معتدل، ونادراً ما فرض الكفارة العلنية الكاملة على الجناة، مفضلاً توبيخاً ودياً على التصحيح الصارم، كما شهد على ذلك أحد اللولاردين، عندما تم استدعاء "رجال معروفين" أمامه، غالباً ما "أعادهم إلى المنزل مرة أخرى، وحثهم على العيش بين جيرانهم كما ينبغي للرجل المسيحي الصالح" (Thomson, 1965, p. 21-2). لا شك أن جميع زملاء أتواتر لم يتبعوا هذه التكتيكات، ولكن سيكون من الخطأ أن نعزو العدد الكبير من اللولاردين المسجلين في السجلات الكنسية فقط إلى ميول نيوقوديمية¹¹ للحركة، إذ يلفت هذا الانتباه بشكل غير مباشر إلى بعض الطرق العملية التي تعاضى بها الناس الأوائل عن التجاوزات الدينية للجيران الذين كانوا نظرياً أعدائهم الروحيين (Ryrie, 2003, p. 81). وبالتالي، يمكن الإستنتاج بأنه كان اضطرار المنشقين عملية تفاوض بين التاج ومثليه في المدن والريف، و فقط حيثما ومتى تقاربت مصالحهم كانت آلية التعصب المدني تعمل بشكل يقترب من الكفاءة الإدارية.

أحد المقاييس غير المباشرة لذلك هو حقيقة أن الدعم المحلي للحملات الخارجية ضد اللولاردين كان غائباً في كثير من الأحيان، ففي أوائل القرن السادس عشر في ساسكس في جنوب شرق إنكلترا، قام أبناء أبرشية بوشام ضد نائبيهم بتهمة التشهير العلني بعد أن وصف أحد اللولاردين بـ "الهرطوقي" (McSheffrey, 1995, p. 73; Thomson, 1965, pp. 84, 190)، وفي أواخر ثلاثينيات القرن السادس عشر، كما أوضح الخياط والتاجر ريتشارد هيلس، كان الكثيرون غير مستعدين للإبلاغ ضد الإنجليين خوفاً من أن "يُنظر إليهم على أنهم مذنبون بالخيانة ضد جيرانهم" (Brigden, 1989, p. 321)، وفي عام 1556، تصريف والتر ستيليهيد، رئيس بلدية إكستر، بلطف تجاه البروتستانت المحليين "وكان، على حد سواء، ودوداً ومحباً ومتسامحاً معهم" (Whiting, 1989, pp. 169-70). في الواقع، منعت اعتبارات الصداقة والسلام المماثلة الكثيرين من الإبلاغ عن الكاثوليك الراضين في عهد إليزابيث (1558-1603) وملوك ستيوارت الأوائل (1603-1649) للسلطات، إذ يكشف البحث عن هافرينغ في إسيكس كيف كان الناس مترددين في خيانة أولئك المرتبطين بهم بعلاقات الصداقة والجوار، ناهيك عن الأقارب (McIntosh, 2002, pp. 196-7).

وفي السياق ذاته، كانت عائلة الحب (العوائلية) طائفة صوفية "هرطوقية" هادئة وغير تصادية بشكل غير عادي، تخبرنا حقيقة تسلمهم مناصب في مجتمعاتهم المحلية الكثير عن مدى التسامح الديني الذي كان منتشرًا بين الطبقات الاجتماعية (Marsh, 1998, pp. 187-196). أن قصة عدم التسامح والإضطهاد الذي مارسه الدولة والكنيسة الرسمية في هذه الفترة يجب أن تكتمل بقصة أكثر

¹¹ يمكن تعريف النيوقوديمية (Nicodemite) بشكل عام على أنها ممارسة التظاهر بعقيدة دينية في سياقات الاضطهاد العلني إلى حد ما. تاريخياً، يرتبط ظهور النيوقوديمية كشكل معين من أشكال الإخفاء الديني المدعومة بالحجج الكتابية والعقلانية ارتباطاً وثيقاً بالظروف المحددة للحياة الدينية في الأوساط الإصلاحية والإصلاحية-الفلسفية في أوروبا في منتصف القرن السادس عشر. والمصطلح مستوحى من اسم نيوقوديموس الروماني، وهو فريسي وعضو في السنهدريم، ومع أنه يظل يهودياً تقياً ظاهرياً، إلا أنه كان يأتي إلى المسيح (عليه السلام) ليلاً سراً لتلقي التعليم، على الرغم من أنه أصبح قديساً في النهاية، إلا أن ولائه المزدوج كان موضع شك إلى حد ما. ينظر:

Overell, M. Anne. "Vergerio's anti-Nicodemite propaganda and England, 1547-1558." *The journal of ecclesiastical history* 51, no. 2 (2000): 296-318.

جاذبية عن التسامح العملي عن حسن الجوار. تشير المصادر إلى أن أتباع "عائلة الحب الهرطقية" استمتعوا أيضاً بالتسامح الكبير مع جيرانهم، فعلى سبيل المثال، في مقاطعة كامبريدج في قرية بلشام وأماكن أخرى، كان "العوائليون يحتفظون بمكاتب علمانية، وشهدوا وصايا أبناء الأبرشية المطابقين للكنيسة الرسمية، وقدموا هدايا سخية للفقراء المحليين ولعبوا دوراً كاملاً في حياة مجتمعاتهم" (Marsh, 1994, p. 249)، من الواضح أن التسامح الاجتماعي، كما تبين، كان حقيقة حية في العديد من البلدات والقرى، وهو تعبير واضح عن فهم المجتمعات الحديثة إلى النأي بنفسها عن الإحتكاك الضار بالمخالفين وبناء علاقات تجاورية على أسس السلام وتعزيز العلاقات الاجتماعية والاقتصادية التي تعود بالنفع على الجميع، في الواقع، وبالاعتماد على الأدلة يمكن القول إن الوضع الاجتماعي للطوائف المنشقة في القرن السادس عشر والسابع عشر لم يتغير كثيراً عن وضع المجموعات التي نعرفها مباشرة بعد تشكيل الطوائف في بدايات الإصلاح الإنكليزي: كانت لدى هذه الطوائف نسبة عالية من أفراد ذوي المكانة الاجتماعية والإقتصادية الرفيعة (Plumb, 1986, pp. 113-5, 129).

من المعروف أن الكاثوليك، وبعد الإصلاح الإنكليزي، تعرضوا للإضطهاد من قبل الدولة وكنيستها الرسمية، وكثيراً ما كانوا يتحملون العبء الأكبر من الإضطهاد خلال الحملات التي قام بها ملوك تيودور -باستثناء ماري الأولى (1553-1558)، إلا أنهم مع ذلك، كانت لديهم علاقات إجتماعية جيدة مع مجتمعاتهم المحلية التي كانوا يعيشون فيها، وكانت تربطهم زيجات اجتماعية وعلاقات اقتصادية وربما كان بعضهم يحتل مناصب قابضة في الدولة، بالإضافة إلى جيرانهم المتعاطفين من مختلف الطبقات الذين كانوا يعيشون في وسطهم والذين كانوا من المأمول أن يحميهم من نوبات الإضطهاد الذي لا يرحم من قبل الدولة وكنيستها. اعتمد الكاثوليك على المحاكم المدنية والجنائية في أعمالهم على حسن نية المسؤولين الذين لا يتقاضون أجوراً والذين وجدوا في كثير من الأحيان أن غض الطرف عن عدم المطابقة أقل إزعاجاً للوثام المجتمعي والسلام من اتخاذ خطوات لجذب ذلك إلى انتباه السلطات الأسقفية. خلال نقاش برلماني في عام 1571، لوحظ أن العديد من مسؤولي الكنيسة "يفضلون ارتكاب الحنث باليمين على إعطاء جيرانهم سبباً للإساءة"؛ ومسؤولي المكتب في قرية لانكشاير في بريسكوت في عام 1595 قيل إنهم "مصابون بالبابوية" واتهموا "بالتعامل الملوّن والمكر" لإخفاء مخالفات كاثوليك الأبرشيات (Haigh, 1975, pp. 18-19, 271; Neale, 1966, l. p. 192)، وفي أسقفية أكسفورد، ما معدله 12 في المائة من ضباط الأبرشية الذين تم استدعاؤهم للزيارات، لكنهم لم يمثلوا أمام الأسقف (Spurr, 1991, p. 193)، إذ غالباً ما تشير مقالات الزيارة إلى وجود تعددية طائفية في الخفاء التي لا يمكن القضاء عليها في المجتمعات الحضرية والريفية، ويبدو ذلك راجعاً بشكل واضح إلى أن العدالة الروحية كانت لا تقل عن العدالة العلمانية عند أولئك الذين كان من واجبه أن يقدموا أفراد جيرانهم وأبناء مجتمعاتهم المقاومين لعقيدة الكنيسة الرسمية إلى السلطات.

على الرغم من أنه كان ينظر إلى الكاثوليك من قبل الدولة وكنيستها في فترة ملوك تيودور -باستثناء ماري الأولى- وبداية عهد ملوك ستيفورت -جيمس الأول (1603-1625)، على أنهم وثنيون وخونة محتلمون للبابا، ومن ثم كانوا في مرمى الإكراه الديني والإضطهاد الشديد الذي كانت تمارسه الدولة ضدهم، لكن مع ذلك، في العديد من المناطق، كان ينظر إليهم على أنهم مواطنون طيبون بدلاً من أن يكونوا بابويون خطيرون وخونة، خاصة بعد أن اضمحل الفرع الذي خلفه مؤامرة البارود عام 1605. ففي قرية إيجتون الصغيرة، على سبيل المثال، نما عدد الكاثوليك من 20 في عام 1580 إلى 61 في عام 1607، وبحلول عام 1610 شكّلوا ثلث مجتمع القرية، ولم يؤدي نمو عدد الكاثوليك إلى حالة من الإستقطاب الطائفي في المجتمع المحلي للقرية، وبدلاً من حدوث الإحتكاك والتصادم بين الكاثوليك والبروتستانت، كانت العلاقات الودية بينهم هي التي تشكل المزاج العام للوضع الديني (Sheils, 1998, pp. 109-133)، ويبدو ذلك راجعاً إلى سببين، أولاً، بُعد القرية عن مراكز قبض الدولة وكنيستها الرسمية، مع فتور التبشير الإنجليكاني المتشدد في قرية إيجتون، ثانياً، طغيان العلاقات الاجتماعية الودية على الأختلافات الدينية، ومن ثم التوافق بدلاً من الانفصال كانت هي الحقيقة الواقعة في العديد من هذه المجتمعات.

وبحسب المؤرخ الإنكليزي، جون بوسي، على الرغم من استمرار الكثير من الكاثوليك في الإلتزام بكنيسة إنكلترا، إلا أنه ربما كان 20 في المائة من النبلاء الإنكليز وما يصل إلى 10 في المائة من طبقة الأرسقراطيين كانوا من البابويين. علاوة على ذلك، شكل الكاثوليك أقلية كبيرة من السكان في مقاطعات مثل لانكشاير ومونماوثشاير، وفي سوفولك، معقل البيوريتان، حافظوا الكاثوليك على وجود كبير. وعلى المستوى العام في المملكة، فقد تضاعف تعداد الكاثوليك بشكل ملفت للنظر (Miller, 2008, p. 12)، إذ فقط بين عامي 1603 و1641 زاد عدد الكاثوليك بنحو 50 في المائة، ليصل تعداد مجتمع الكاثوليك بشكل

عام إلى ما يقرب من 60.000 (Bossy, 1975, pp. 188-193)، في حين يقدم المؤرخ الكندي مارتن هافران المختص في فترة آل ستوراث، تقديرات جامعة بشأن عدد الكاثوليك في المجتمع الإنكليزي، إذ بحسب تقديره تجاوز العدد الإجمالي للكاثوليك أكثر من ربع مليون نسمة (Havran, 1962, pp. 82-83)، وهو رقم ضخم جداً، وعلى الرغم من التباين الجلي بين التقديرين، إلا أنه ما يهمننا هو أن التقديرين يذهبان لصالح اقتراحنا حول قوة وفعالية التسامح الإجتماعي بين مختلف أفراد الطوائف في المجتمع الإنكليزي، إذ أن إحدى التفسيرات القوية لزيادة هذه النسبة العالية من تعداد الكاثوليك؛ هو تمتعهم بعلاقات إجتماعية ودية تجاوزت العقبات الأيديولوجية ومساعي التوحيد القسري الذي كانت الدولة مع كنيستها تسعى إلى فرضه، لو كان السرد التنقيحي القاتم حول تاريخ الإضطهاد في إنكلترا دقيقاً، لتضاءل عدد الكاثوليك بشكل مخيف إن لم يكن قد اضمحل بالكامل بعد رسوخ البروتستانتية وتمدد جذورها في المجتمع الإنكليزي.

والأكثر إثارة للإهتمام هو أنه كان هناك تزايد ملحوظ في عدد الكهنة الكاثوليك منذ عام 1603، حيث تجاوز عددهم المئات في جميع أنحاء إنكلترا، ففي لندن وحدها حيث مركز قبضة الدولة مع سطوة كنيستها الرسمية بلغ عدد الكهنة الكاثوليك 70 كاهناً، فضلاً عن ذلك، توزعت نشاطات الكاثوليك الاقتصادية وشغلوا مجموعة متنوعة من المهن، منها مهنة التطبيب والتدريس والنساجة، كما تقلد بعضهم إدارة المدارس وخدم بعضهم في البلاط الملكي، وأصبح آخرون أغنياء وأصحاب نُزل، وأمتلك عدداً منهم طباعة خاصة بهم مثل الطباعة الكاثوليكية في كليركينويل في لندن (Ibid, pp. 82-83).

فسّر كيث ليندلي، الباحث في التاريخ الكاثوليكي الإنكليزي المبكر، نجاة المجتمع الكاثوليكي وازدهاره بستة أسباب: العامل الجغرافي المتمثل في المسافات البعيدة التي كانت تشكل عائقاً أمام الكفاءة الإدارية للذراع الحكومي في تطبيق سياسيات التوحيد القسري، والدعم الذي كان يتلقاه الكاثوليك من قبل كبار النبلاء، وسياسة التظاهر التي انتهجها نبلاء الكاثوليك من أجل إخفاء إيمانهم والحفاظ على معتقداتهم الكاثوليكية، والإنشطة التبشيرية التي كان يقوم بها الكهنة الكاثوليك من أجل إقناع الناس على التمسك بمعتقداتهم، والدور الكبير الذي لعبه التعليم الكاثوليكي اليسوعي في إعداد الكهنة في الخارج وإعداد آخرين منهم بشكل سري في الداخل، من أجل نشر الإيمان الكاثوليكي بين أبناء الأجيال المتعاقبة من أبناء الكاثوليك، والمراوغة التي مارسها الكاثوليك من أجل الإفلات من قبضة الأذرع الحكومية والإدانات الكنسية (Lindley, 1971, Pp. 206-209). لكن مع ذلك، يجب أن نضيف أن المجتمع الكاثوليكي نجا لأن العديد من القضاة البروتستانت لم يكونوا مستعدين للانخراط في اضطهاد لا يرحم لجيرانهم. إذ أن الأدلة تشير إلى الشخصيات الكاثوليكية البارزة كانت تتمتع بمكانة موقرة في المجتمع المحلي، وكانت تربطهم علاقات حسن جوار مع جيرانهم البروتستانت، فعلى سبيل المثال، ذهبت المؤرخة الإنكليزية آن هيوز إلى أنه في وارويكشاير، "في فترات الهدوء، تشير الدلائل إلى أن طبقة النبلاء الكاثوليكية تم التسامح معها بشكل ودي بدرجة كافية من قبل معظم نظرائهم البروتستانت" (Hughes, 2002, p. 64)، على الرغم من أن الحكومة وكنيستها كانت تستهدف طبقة النبلاء الكاثوليك عن طريق غرمت الرفض، إلا أن زيادة أعدادهم بشكل مضاعف يثبت أنهم تمتعوا بقدر كبير من التسامح الاجتماعي (Questier, 1996, p. 157). وكما لاحظ مايك برادديك ببراعة، أنه طوال القرن السادس عشر- والسابع عشر- كانت هناك "فجوة غير مريحة" بين ادعاءات الدولة الطائفية المضطهدة والواقع السياسي والاجتماعي المحلي (Braddick, 2000, p. 335)، إذ حدّ تدخل الجمهور من قدرة نظامي تيودور وستيوات على تطبيق سياساتهم للتوحيد القسري وبث فئاعتهم المتغيرة لـ "الدين الحقيقي"، ومعاقبة أولئك الذين انحرفوا عنه، في الواقع، جعلت المراوغة الإقليمية للتوجيهات المركزية من التوحيد أملاً مستحيلاً وحتى من الصعب الحفاظ على التوافق الضيق.

ونماشياً مع ما تم ذكره، كثيراً ما نرى الكنيسة كانت تشتكي من التنفيذ غير الفعّال للقوانين ضد الكاثوليكية والمنشقين البيوريتان في الوثائق الإدارية المعاصرة والمذكرات الخاصة. إذ من الواضح أن العديد من القضاة تجاهلوا الانحراف الهرطقي والمخالفات البابوية، وأن أبناء الأبرشيات امتنعوا عن مقاضاة نوابهم ورعاياهم بسبب عدم المطابقة البيوريتانية، ففي عام 1557، على سبيل المثال، تم إرسال سلسلة من الرسائل إلى عمداء ومحضري المقاطعات في مقاطعات مختلفة تطالب بمعرفة سبب عدم تنفيذ الأحكام بتهمة الهرطقة، وفرض مجلس الملكة الخاص على السير جون بتلر من إسكس غرامة قدرها 10 جنيهات إسترلينية للتغاضي عن عقوبة امرأة كان من المفترض أن تُحرق على الود في كولشيستر (Acts of the Privy Council of England, 1890-1964, VI. Pp. 135, 144). وفي عام 1600، سُجن كل أعضاء الكنيسة ورجال الشرطة في إحدى أبرشيات يوركشاير

لرفضهم التصديق على نوع التعليم الذي كان يتلقاه أطفال الرافضين (الكاثوليك) المحليين (Palliser, 1979, p. 257). وفي برينيري في عام 1631، تم الاستشهاد — جون ديدمان وصمويل سميث أمام رئيس الشمامسة لفشلهما في تقديم موظفي الأبرشية، وكذلك صمويل كولينز، لاذراءه بالزي الكهنوتي والشعائر الليتورجية الأساسية (Webster, 1997, p. 198).

يمكن تكرار مثل هذه الأمثلة من جميع أنحاء إنكلترا، على الرغم من أن هذه المواقف تجاه المنشقين عن الكنيسة الرسمية لا تمثل الصورة السائدة للواقع الديني الإنكليزي في تلك الفترة، إلا أنها في الوقت ذاته، تحدّرتنا من الاسترسال في الصور النمطية التي تعودنا عليها من خلال السرديات الحديثة عن الأوضاع الدينية في إنكلترا، وهذه الحقيقة وحدها يجب أن تعقد صورتنا للعقلية الدينية الإنكليزية. إذ تعكس بعض حالات عدم اتخاذ أي إجراء من قبل المسؤولين درجة استمرار اختراق المناصب المحلية من قبل أفراد الأقليات الدينية أنفسهم، وهو ما يؤكد تفوق العلاقات والروابط الإجتماعية بين المواطنين من مختلف الطوائف على النموذج المتعصب الذي كانت الدولة تسعى إلى فرضه وجعله المعيار الذي يجب أن يُحتدّ به المطابقون في تعاملاتهم مع غير المطابقين، إذ بمرور الوقت، ربما يكون وجود الكاثوليك المتخفين في صفوف الحكومة المحلية قد انخفض، على الرغم من أنه لم يختف تماماً - وهو الوضع الذي حمى العديد من الرافضين من قوة القانون. ففي الفترة من 1624 إلى 1628 (عندما كانت الكاثوليكية تزدهر وتنتشر - في البلاط الملكي)، يُقدر أن واحد وثمانين قاضياً واثنين من عمدة الشرطة كانوا بابويين (Williams, 1968, pp. 12-13).

كما إن إحدى التفسيرات الأخرى لنجاة المنشقين من قبضة القوانين الحكومية والكنسية الإضطهادية، هي أن، على المستوى المحلي، الأولوية التي منحها المعاصرون كانت لممارسة الأعمال الخيرية المسيحية الحقيقية ومثّل "الجوار الصالح" الذي كان مثبّطاً قوياً لاتخاذ إجراءات ضد المنشقين الدينيين الذين لم تكن معتقداتهم وأنشطتهم في حد ذاتها مدمرة أو تخريبية للعلاقات الاجتماعية. مثل هذه التعبيرات المتبادلة ورموز النوايا الحسنة كانت تعزز بعضها البعض، لذا كان التعاطف مع الأقليات نتيجة لاستراتيجيات الاستيعاب التي اعتمدها للتعامل مع الاضطهاد والمعاناة، والتي بدورها عززت رغبة الأرثوذكس في التفاعل معهم وفقاً لـ قواعد المحبة المسيحية وحسن الجوار، وبالتالي نبذ الالتزام الروحي المتضارب الذي كانت الدولة وكنيستها تحاول أن تفرضه على عاتق المؤمنين الحقيقيين لاستئصال وتقييد أولئك الذين يتمسكون بالباطل، إذ من الواضح أن الكثير قد استوعبوا كلمات العظات في فترة إليزابيث (1558-1603) حول هذا الموضوع، والتي أعلنت أن التصرف بإحسان تجاه أعداء المرء "كان الشرط اللائق لهؤلاء الذين يكونون من مجتبيّ الإله" (Church of England, 1563, p. 43)، وهو الأمر الذي قضى بتدخل العديد لحماية جيرانهم الكاثوليك من لائحة الاتهام، وتواطؤوا في عمليات بيع وهمية ورهون عقارية لمنع حبس ممتلكاتهم، وصموا آذانهم عن أنشطة القساوسة المقيمين وكهنة التبشير الزائرين لأبرشياتهم. كما أنهم لم يتراجعوا ويتفرجوا بينما يتعرض جيرانهم الكاثوليك غير المسيئين لسوء المعاملة من قبل المسؤولين المتطفلين أو الغرباء المشاغبين، فعلى سبيل المثال، عندما تأمرت مجموعة من الجنود المخمورين لابتنزاز الأموال من سيدتين كاثوليكيتين في كورسكومب في دورست عام 1626، حذر السكان المحليون السلطات من المتاعب الوشيكة لسلوكهم الغير المقبول، ونجح شرطي القرية في القبض على بعض الغرباء المشاغبين الجناة (Underdown, 1985, p. 129; Braddick 2000, p. 325).

على المستوى العملي، من الواضح بشكل متزايد أن الناس كانوا يتجاهلون مراراً وتكراراً الأوامر الأساسية بتجنب أعدائهم الروحيين تماماً، كما يبدو أنهم "احتفظوا بصحبة أشخاص محرومين كنسياً على ما يبدو في تحدٍ للقانون الكنسي"، ولم يكونوا يفضلون أو يهتمون باستعادتهم من أجل إرضاء الكنيسة، لقد قاموا أيضاً بـ "الشراء والبيع والأكل والشرب والتحدث والعمل والتواصل بطريقة أو أخرى" مع الرجال والنساء الذين احتقروا الطقوس المؤسسة الأنجليكانية و/أو رفضوا مبادئها اللاهوتية المركزية (Fincham, 1994, i. 21, 41, 82, 89, 105, 135, 144, 145, 175, 186, 201, 207; ii. 5, 18, 92, 101, 143, 239, 256). وفي أربعينيات القرن السادس عشر، لم تمنع الاختلافات في الرأي العقائدي والدة جون برادفورد من استقبال القس المحافظ توماس هول كزائر منتظم؛ ولا في 1557 منعوا الكاثوليك ريتشارد روثير من قضاء مرضه الأخير في منزل البروتستانت جون كرومبتون، الذي استدعى نائب بولتون لإدارة الطقوس الأخيرة لصديقه (Haigh, 1975, p. 193). وفي ستراتفورد، لم يحتقر الطبيب جون هول، زوج ابنة شكسبير، علاج المرضى البابويين الرافضين والكنسيين الذين طلبوا مشورته المهنية، في إسيكس، قبلت طبقة النبلاء البروتستانتية عن طيب خاطر ضيافة إحدى العائلات الكاثوليكية المحلية، كما فعل عميد وستمنستر والوفد المرافق له في عام 1606 (Lane, 1996, pp. xvii, 61, 50-2, 74-5,) ولم يستنكر القس وليام بيدل (1571-1642) التواصل الاجتماعي مع

الكاثوليك حيث كان تتطلب اللباقة والتأدب (Bedell, 1628, pp. 1-6)، لذا لم يتوانى بعضهم عن تناول الطعام والاختلاط بالبابويين الذين التقوا بهم في سياق واجباتهم المهنية أو شاركوا معهم في رحلات طويلة، أو الامتناع عن التحدث معهم عن المواضيع الدينية (Fielding, 1988, pp. 773-4). والصورة الأكثر إشراقاً من هذا التسامح الإجتماعي، هو أنه لم يعق الخلاف الأيديولوجي التبادل الأكاديمي بين المثقفين الكاثوليك واللاهوتيين البروتستانت: جيمس أوشر (1581-1656)، رئيس أساقفة أرماغ المعادي للبابوية، ترأس مع القس الكاثوليكي ديفيد روث (1573-1650)، بينما فتح السير روبرت بروس كوتون، البارون الأول (1571-1631) من كوينغتون هول في أبرشية كوينغتون في هانتينغدونشاير، والذي كان عضواً في البرلمان ومؤسس مكتبة كوتون (Cotton Library)، للكاتب البينديكتي أوغسطين بيكر (1575-1641) للاستفادة من مكتبته الكبيرة والثرية بمصادرها الفريدة، بينما كان الأخير يكتب تاريخ الرهبنة الإنكليزية الكاثوليكية في العصور الوسطى (Milton, 1999, p. 95).

يبدو أن هذه التجارب العملية قد سهلت وعكست قدرة من جانب الجمهور على استيعاب درجة كبيرة من التناقض بين السلوك الجسدي والرأي الداخلي. إن التنازلات الدنيوية العديدة التي قام بها الأشخاص مع أولئك الذين كانوا من الناحية الفنية أعداءهم الطائفيون يؤكد إقتراناً بأن السلوك الخارجي على المستوى المحلي كان يُنظر إليه بشكل غريزي على أنه أساس أفضل للحكم على قيمة الفرد من تمسكه أو التزامه بالصيغ اللاهوتية الدقيقة المنصوص عليها في التعاليم الدينية والاعترافات الإيمانية الكنسية. في الواقع، كان حافز العلاقات والروابط الإجتماعية إحدى الحوافز الأساسية لهذا التسامح، ولا يمكن أن يكون غير مرتبط بالجهود التي بذلها العديد من المنسقين أنفسهم للتوصل إلى نوع من التسامح مع جيرانهم البروتستانت، وبالتالي ساهم على نزع فتيل العداء، وتحييد النزاعات المحتملة، وتعزيز المناخ الذي يشعر فيه الناس بالقدرة على التغاضي عن المعتقدات والمناسبات التي لا يوافقون عليها. إن المساعي الإنسجامية التي بذلها القضاة والشرطة ورجال الكنيسة وأبناء الأبرشية للتعامل مع الهراطقة والبابويين والطوائف ربما سمحت لمعظم هؤلاء بالعيش في توازن نسبي مع الرجال والنساء الذين لم يشاركوا أو يوافقوا على آرائهم العقائدية أو تورعهم الضميري. وللنأي من الإسترسال في تضخيم البعد الإجتماعي على حساب المسار التاريخي العام، وعدم الوقوع في فخ الإدعاء الجامح للمؤرخ الإنكليزي نورمان جونز بأن فترة ما بعد الإصلاح أوجدت "عالمًا متعدد الطوائف تم فيه الاعتراف بأن كل فرد لديه بعض الخيارات في كيفية ارتباطه بالله" (Jones, 2002, p. 34)، لكن مع ذلك، الأدلة التي أوردناها تقوض من صلاحية الرواية الحديثة التي تقترح أن المعتقدات الدينية التي ركز عليها مؤرخو الفكر لهذه الفترة بشكل تقليدي، قد أحدثت شراً دائماً أو حتمياً في العلاقات بين أولئك الذين تمسكوا بها وتطابقوا مع الكنيسة الرسمية، وأولئك الذين لم يمثلوا لها وبالتالي انشقوا عن الكنيسة الرسمية.

3-الخاتمة:

سيكون من الخطأ افتراض أن الأفعال والمراسيم الصادرة عن الملك والمجلس الملكي والبرلمان قد تمت ترجمتها بالضرورة إلى أفعال على مستوى الشعبي، إذ لا ينبغي لنا أن نفترض تلقائياً أن مثل هذه الإجراءات شكلت تحدياً أساسياً أو إهانة للنسيج السائد للعلاقات الإجتماعية في البلدات والقرى والمدن في أوائل إنكلترا الحديثة (القرنين السادس عشر والسابع عشر). في الواقع، إن الأدلة التي أوردناها تقوض كثيراً من صلاحية الروايتين الوردية للويغية والقائمة بالتنقيحين: الأولى، ادعت أن إنكلترا شهدت في السادس عشر خطوات جدية لترسيخ التسامح وتشريع التعددية الدينية، الثانية، أوردت صورة قاتمة لتاريخ تلك الفترة من خلال التركيز على حوادث الإضطهاد التي قامت بها الدولة وكنيستها الرسمية. في الواقع، كلتا السرديتين لا تمثلان الواقع الحقيقي ولا تعبران بصورة دقيقة الأوضاع الدينية في إنكلترا المبكرة، وبدلاً من ذلك، ولأجل تفادي القراءة الأحادية الخط للتاريخ وعدم الوقوع في فخ المفارقة التاريخية، تقترح الدراسة تبني مسار أو خط وسطي بين السرديتين من خلال التأكيد على أنه بالفعل شهد المجتمع الإنكليزي موجة إضطهادات عنيفة عبر الإجراءات القانونية التي انتهجتها الدولة وسلطاتها الكنسية، لكن مع ذلك، على مستوى السياق الإجتماعي تروي لنا الوثائق والمصادر الإجتماعية والإقتصادية صفحات تجاهلها المؤرخون الذين أهملوا التاريخ الشعبي، للطوائف التي عاشت في تلك الفترة. تؤكد الدراسة على أنه ينبغي قراءة تاريخ التسامح من بعدين: الأولى، السياق العام للدولة والمؤسسات الرسمية فيها أو اليومية، وكيف كان موقفهم من البيانات التي كانت تصدر عن حكوماتهم، وكيف امتثلوا لها، وكيف كانت مواقفهم تجاه بعضهم البعض عبر التقسيمات الطبقيّة الإجتماعية والاقتصادية منها.

أظهرت الدراسة أن الناس العاديين على الصعيد الاجتماعي كانوا متسامحين فيما بينهم بشكل مثير للإنتباه، إذ بعيداً عن سياسات الدولة وممارساتها الإضطهادية وإجراءاتها القسرية لفرض التوحيد الديني الصارم على أبناء المجتمع، استمر التعاطف أو الدعم بين أبناء الأبرشيات والمنشقين من مختلف الطوائف، وظل هذا التأثير مهماً خاصة في التقسيم الطبقي الاجتماعي: المكانة الاجتماعية الرفيعة، والمكانة المهنية، والدخل والثروة. إذ أن الحالات التي عرضناها تعتبر أمثلة مصورة لتجمعات طائفية في مجتمعات ريفية وحضرية تتميز بأواصر إجتماعية قوية وعلاقات ودية بين أبناءها، مع وجود أدلة على سلسلة اتصالات واسعة النطاق جغرافياً واجتماعياً وحتى داخل البلاط الملكي، مع التأكيد على أن وجهات نظرهم كانت معروفة لمن تعاملوا معهم. من المؤكد أن هذه الحالات تشير بشكل واضح أن جميع أفراد الطوائف لم يكونوا منبوذين، وهي، في الحقيقة، حالات مذهلة تشير إلى أن المجتمع الإنكليزي كان يستقطب في داخله هوية دينية ذات تعدد طائفي، على الرغم من سعي السلطات وراء التوحيد الديني واضطهاد الطوائف المخالفة. إن المنشقين الذين اندمجوا بنشاط في شبكات الروابط الاجتماعية نادراً ما كان يتم تحيدهم أو يعاملوا على أنهم تهديد كغرباء أو أجانب، وبالتالي، سهلت هذه العمليات المترابطة أشكال التعايش التي أزال حساسية الأفراد لوجود الانحراف وساهمت في خلق بيئة دينية أصبحت فيها التعددية مقبولة كحقيقة من حقائق الحياة، ومن هذا المنطلق، يتبين أيضاً أن المقت العاطفي لدين باطل أو طائفة منحرفة في المجرد لم يكن بأي حال من الأحوال عائقاً صدياً أمام العلاقات الودية بين أتباعها، ويبدو أن هذا كان أيضاً سبباً ونتيجة للتعايش الفعلي والتعددية التي ولدها الإصلاح الطويل في إنكلترا.

قائمة المصادر:

المصادر الأولية:

- *Acts of the Privy Council of England*. Edited by John Roche Dasent. London, 1890-1964.
- Barrow, Henry. *The Writings of Henry Barrow, 1587-1590*. Edited by Leland H. Carlson. Routledge, 2004.
- Bayle, Pierre. *A Philosophical Commentary on These Words of the Gospel, Luke XIV, 23: Compel Them to Come In, that My House May be Full*. Vol. 1. F. Darby, 1708.
- Bedell, William. *An examination of certaine motives to recusancie*. Cambridge, 1628.
- Church of England, *Certain sermons or homilies appointed to be read in churches in the time of Queen Elizabeth of famous memory*. London, 1563.
- -----, *Prayers and thanksgivings to be used by all the kings majesties loving subjects, for the happy deliverance of his Majestie, the Queene, Prince, and States of Parliament, from the most traitorous and bloody intended massacre by gunpowder the 5 of November*. London, 1606.
- Foxe, John. *Actes and monuments of matters most speciall and memorable, happenyng in the Church*. London, 1583.
- Harsnet, Samuel. *A discoverie of the fravvdulent practises of Iohn Darrell wherein is manifestly and apparantly shewed in the eyes of the world ([England?]: Imprinted [by the English secret press?]. 1599*.
- -----, *A declaration of egregious popish impostures to with-draw the harts of her Maiesties subiects from their allegiance, and from the truth of Christian religion professed in England, vnder the pretence of casting out deuils*. London, 1603.
- Persons, Robert. *The Jesuit's memoriall for the intended Reformation of England*. Edited by Edward Gee. London, 1690.
- Rogers, John. *The displaying of an horrible secte of grosse and wicked heretiques, naming themselues the family of loue with the lues of their authours and what doctrine they teach in corners*. London, 1579.

المصادر الثانوية:

- Aston, Margaret. "Lollardy and the Reformation: survival or revival?." *History* 49, no. 166 (1964): 149-170.
- -----, *Lollards and reformers: images and literacy in late medieval religion*. London, 1984.
- Baker, Derek. ed., *Medieval Women*. Oxford, 1979.
- Black, Joseph. "The Rhetoric of Reaction: The Martin Marprelate Tracts (1588-89), Anti-Martinism, and the Uses of Print in Early Modern England." *The Sixteenth Century Journal* (1997): 707-725.
- Borsay, Peter. 'New approaches to social history: myth, memory and place: Monmouth and Bath 1750–1900', *Journal of Social History* (Spring 2006), 867–89.
- Bossy, John. *The English catholic community, 1570-1850*. London, 1975.

- Bowker, Margaret. *The Secular Clergy in the Diocese of Lincoln 1495-1520*. Cambridge, 1968.
- ----- . *The Henrician Reformation: The Diocese of Lincoln under John Longland, 1521-1547*. Cambridge, 1981.
- Bowlin, John R. "Augustine on justifying coercion." *The Annual of the Society of Christian Ethics* 17 (1997): 49-70.
- Braddick, Michael J. *State formation in early modern England, c. 1550-1700*. Cambridge, 2000.
- Brigden, Susan. *London and the Reformation*. Oxford, 1989.
- Bray, Gerald Lewis. ed. *Tudor church reform: the Henrician canons of 1535 and the Reformatio legum ecclesiasticarum*. Vol. 8. Boydell Press, 2000.
- Carrick, John Charles. *Wycliffe and the Lollards*. T. & T. Clark, 1908.
- Clifton, Robin. *The fear of Catholics in England, 1637 to 1645: principally from central sources*. Diss. University of Oxford, 1967.
- Collinson, Patrick. *Elizabethan Puritan Movement*. Routledge, 1967.
- Cressy, David. "Kinship and kin interaction in early modern England." *Past & Present* 113.1 (1986): 38-69.
- Davis, John F. *Heresy and Reformation in the South-east of England, 1520-1559*. Royal Historical Society, 1983.
- Dickens, Arthur Geoffrey. *The English Reformation*. London, 1964.
- Emmison, F. G. *Elizabethan Life: Morals and the Church Courts*. Chelmsford, 1973.
- Fairburn, Miles. *Social History: Problems, Strategies and Methods*. Basingstoke, 1999.
- Fielding, John. "Opposition to the personal rule of Charles I: the diary of Robert Woodford, 1637-1641." *The Historical Journal* 31.4 (1988): 769-788.
- Fincham, Kenneth. ed. *Visitation articles and injunctions of the early Stuart Church*. Vol. 2. Boydell & Brewer, 1994.
- Fletcher, Anthony. "'englandpast.net": a framework for the social history of England', *Historical Research*, 75 (2002), 296-315.
- French, Henry Richards. *Chief inhabitants and their areas of influence: local ruling groups in Essex and Suffolk parishes 1630-1720*. Diss. University of Cambridge, 1993.
- Frere, W. H. and Douglas, C. E. *Puritan Manifestoes: A Study of the Origin of the Puritan Revolt*. Society for promoting Christian knowledge, 1907.
- Grell, Ole Peter, Jonathan I. Israel, and Nicholas Tyacke. *From persecution to toleration: the glorious revolution and religion in England*. Clarendon, 1991.
- Haigh, Christopher. *Reformation and Resistance in Tudor Lancashire*. Cambridge, 1975.
- ----- . ed., *The English Reformation Revised*. Cambridge, 1987.
- Hall, Hubert. "Some Elizabethan penances in the diocese of Ely." *Transactions of the Royal Historical Society* 1 (1907): 263-277.
- Havran, Martin J. *The Catholics in Caroline England*. London, 1962.
- Heal, Felicity. *Hospitality in Early Modern England*. Oxford, 1990.
- Hill, Christopher. *Intellectual Origins of the English Revolution-Revisited*. Clarendon Press, 1965.
- ----- . "From Lollards to Levellers." *Rebels and their causes: Essays in honour of AL Morton* (1978): 49-68.
- ----- . *The century of revolution 1603-1714*. Routledge, 2001.
- Houlbrooke, Ralph. *Church courts and the people during the English reformation: 1520-1570*. Oxford Univ. Press, 1979.
- ----- . 'Women's Social Life and Common Action in England from the Fifteenth Century to the Eve of the Civil War', *Continuity and Change: A Journal of Social Structures, Law and Demography*, 1 (2) (1986), pp. 171-89.
- Hughes, Ann. *Politics, Society and Civil War in Warwickshire, 1620-1660*. Cambridge, 2002.
- Jeaffreson, John Cordy. (ed.), *Middlesex County Records 1549-1603*. London, 1886.

- Jones, Norman. *The English Reformation: Religion and Cultural Adaptation*. Oxford, 2002.
- Jordan, Wilbur K. *The development of religious toleration in England*. Vols. 4 Cambridge. 1932-40.
- Lake, Peter. "'A charitable Christian hatred': The godly and their enemies in the 1630s." *The Culture of English Puritanism, 1560–1700* (1996): 145-183.
- ----- . *The Boxmaker's Revenge: 'orthodoxy', 'heterodoxy', and the Politics of the Parish in Early Stuart London*. Manchester University Press, 2001.
- Lane, Joan. *John Hall and his Patients: The Medical Practice of Shakespeare's Son-in-Law*. Stratford-upon-Avon, 1996.
- Lecler, Joseph. *Toleration and the Reformation*. Trans. by T. L. Westow. Association Press, 1960.
- Lindley, Keith J. "The Lay Catholics of England in the reign of Charles I." *The Journal of Ecclesiastical History* 22.3 (1971): 199-221.
- Lutton, Robert. *Lollardy and orthodox religion in pre-reformation England: reconstructing piety*. GB, 2006.
- Lynd, Staughton. *Doing history from the bottom up: On EP Thompson, Howard Zinn, and rebuilding the labor movement from below*. Haymarket Books, 2014.
- MacCulloch, Diarmaid. *Suffolk and the Tudors: Politics and Religion in an English County, 1500- 1600*. Oxford, 1986.
- ----- . *The later reformation in England, 1547-1603*. Basingstoke: Macmillan, 1990.
- Marsh, Christopher W. *Popular religion in sixteenth-century England: holding their peace*. London, 1998.
- -----, *The Family of Love in English Society, 1550-1630*. Cambridge, 1994.
- Martin, Joseph W. "Elizabethan Familists and English Separatism." *Journal of British Studies* 20, no. 1 (1980): 53-73.
- Marchant, Ronald Albert. *The Church under the law: justice, administration and discipline in the diocese of York, 1560-1640*. Cambridge, 1969.
- Marotti Arthur F. ed., *Catholicism and Anti-Catholicism in Early Modern English Texts*. Basingstoke, 1999.
- McSheffrey, Shannon. *Gender and heresy: women and men in Lollard communities, 1420-1530*. Pennsylvania, 1995.
- McIntosh, Marjorie Keniston. *A Community Transformed: The Manor and Liberty of Havering-atte-Bower 1500-1620*. Cambridge, 2002.
- Merton, Robert K. *Science, technology and society in seventeenth century England* (New York, 1938)
- Miller, John. *Popery and politics in England 1660-1688*. London, 2008.
- Milton, Anthony. "A qualified intolerance: the limits and ambiguities of early Stuart anti-Catholicism." *Catholicism and anti-Catholicism in early modern English texts*. London: Palgrave Macmillan UK, 1999. 85-115.
- Neale, John Ernest. *Elizabeth I and her Parliaments: 1584-1601*. Norton, 1966.
- Overell, M. Anne. "Vergerio's anti-Nicodemite propaganda and England, 1547–1558." *The journal of ecclesiastical history* 51.2 (2000): 296-318.
- Palliser, David Michael. *Tudor York*. Oxford, 1979.
- Perkin, Harold. 'Social History in Britain', *Journal of Social History*, 10, 2 (Winter 1976), 129–43.
- Plumb, Derek. (1986). *The Social and Economic Spread of Rural Lollardy: A Reappraisal*. *Studies in Church History*, 23(), 111–129.
- ----- . *John Foxe and the later Lollards of the Thames Valley*. Diss. University of Cambridge, 1987.
- ----- . "A gathered church? Lollards and their society." *The World of Rural Dissenters, 1520 1725* (1995): 132-63.
- Postles, Dave. 'Penance and the market place: a Reformation dialogue with the medieval Church (C.1250-C.1600)', *The journal of ecclesiastical history*, 54 (2003), 441-68.
- Questier, Michael C. *Conversion, politics and religion in England, 1580-1625*. Cambridge University Press, 1996.
- Reay, Barry. "The authorities and early Restoration Quakerism." *The journal of ecclesiastical history* 34.1 (1983): 69-84.
- ----- . "The Muggletonians: an introductory survey." *The World of the Muggletonians* (1983): 1-27.
- Rex, Richard. *The Lollards*. Basingstoke, 2002.
- Ryrie, Alec. *Gospel and Henry VIII*. Cambridge, 2003.
- Scarisbrick, J. J. *The Reformation and the English People*. Oxford, 1984.
- Sheils. W. J. ed., *Persecution and Toleration*, SCH 21. Oxford, 1984.
- ----- . "Catholics and their neighbours in a rural community: Egton chapelry 1590–1780." *Northern History* 34, no. 1 (1998): 109-133.
- Smart, Stefan J. "John Foxe and 'The Story of Richard Hun, Martyr'." *The journal of ecclesiastical history* 37.1 (1986): 1-14.

- Spufford, Margaret, and Motoyasu Takahashi. "Families, Will Witnesses, and Economic Structure in the Fens and on the Chalk: Sixteenth-and Seventeenth-Century Willingham and Chippenham." *Albion* 28.3 (1996): 379-414.
- Spurr, John. *The Restoration Church of England, 1646-1689*. New Haven : Yale University Press, 1991.
- Taylor, Stephen. ed. *From Cranmer to Davidson: A Church of England Miscellany*. Boydell & Brewer, 1999.
- Tawney, Richard Henry. *Religion and the Rise of Capitalism*. USA, 2015.
- Thompson, Edward Palmer. *The making of the English working class*. Open Road Media, 2016.
- Thomson, John A. F. *The Later Lollards: 1414-1520*. Oxford, 1965.
- Todd, Margo. *The Culture of Protestantism in Early Modern Scotland*. New Haven, 2002.
- Tyacke, Nicholas. *England's Long Reformation: 1500-1800*. Routledge, 2003.
- Underdown, David. *Revel, riot, and rebellion: popular politics and culture in England, 1603-1660*. No Title, 1985.
- Walsham, Alexandra. 'Yielding to the extremity of the time: conformity, orthodoxy and the post-Reformation Catholic Community', *Conformity and Orthodoxy in the English Church, c.1560-1660*. Woodbridge, 2000.
- Walzer, Michael. *The revolution of the saints: A study in the origins of radical politics*. Vol. 130. Harvard University Press, 1982.
- Weber, Max. *The Protestant ethic and the spirit of capitalism*. Routledge, 2013.
- Webster, Tom. *Godly Clergy in Early Stuart England: The Caroline Puritan Movement, c. 1620-1643*. Cambridge, 1997.
- Whiting, Robert. *The Blind Devotion of the People: Popular Religion and the English Reformation*. Cambridge, 1989.
- Williams, John Anthony. *Catholic recusancy in Wiltshire, 1660-1791*. Catholic Record Society, 1968.
- Wilson, Adrian. ed. *Rethinking Social History: English Society 1570–1920 and its Interpretation*. Manchester, 1993.
- Youngs, Joyce. *Sixteenth-Century England*. Harmondsworth, 1984.

المصادر باللغة العربية:

- سيان سعيد شرو مهمدا; غسان وليد الجوادي. "البيوريتانيون والنضال من أجل التسامح خلال الحرب الأهلية الإنكليزية 1640-1649". *ادب الرفدين* 2023.180991. doi: 10.33899/radab.2023.180991. 53, 95, 2023, 98-116.
- "Sipan Saeed Sharo Mahmada. 2023. " *Journal of Duhok* 1688-1660 إنكلترا إلى إنكلترا *University* 26 (1), 1212-26. <https://doi.org/10.26682/hjuod.2023.26.1.74>.

تەپەسەپریا ئایینی و لیبۆرینا کارەکی ل ئینگلتەپرا (1500-1640)
رێپه‌وێ جفاکی بۆ لیبۆرینا دناقبەرا هەفسۆیاندا (بنەما و ئەنجامدان)

سیان سعید شرو مەهدا

پشکا میژوو، کولیژا پەرورەدا بنیات، زانکویا دھوک، هەرێما کوردستانا -عێراقی

sipan.mahmada@uod.ac

پوختە

ئەف فەقۆلینە خۆ ژ هەر بزافەکا بۆ دیفچوونا رێپه‌وێ میژوو یا لیبۆرین "ژ تەپەسەپریا بۆ لیبۆرین" ددەتە پاش و نامازە ب وئ چەندئ دەتە کو ئەو دین یا شاشە یا بنتی تەکەزئ دکتە سەر میژوو یا بزارە یا ن سیاسی دەم چاقدیرییا گوھۆرینین زۆرەری دکتە، ئەفین کو جفاکین ئەو پۆپ بەزاندین ل دەم شۆرەشا خۆ بۆ لیبۆرینا ئایینی کری، تایبەت ژ جفاکی ئنگلیزی، و ل جەن وئ پشنیارا وئ چەندئ دکتە کو میژوو یا لیبۆرین ب شیوەک باشتر بەیتە خواندن ژ هەندئ کو وەکو پارچەک بەیتە خاندن ژ زنجیرەکا گریدای و ئالۆز کو بۆ دوو لایان بەیتە دابەشکرن (سیاسی و جفاکی). ئەف فەقۆلینە ب شیوەک بەتە نەکو کورنۆلۆژی، بزافئ دکتە پشکینا وئ کارلینکا سیانی بکتە ئەوا دناقبەرا ئایدۆلۆژین (دێرا سەرەکی) و نەخشەکیش فەرمی (دەولەت) و لیبۆرینا ئەقلانی یا کارەکی (لیبۆرینا جفاکی) ئەفا کو لسەر ئاستە بناغا جەماوەری دەردکەفیت. سەرەپای ئەوان ئاستەنگین دیارکرن ئەف دیارئ ئەوا کو دناف ژیدەراندنا هاتوچووی، بەل ئەف فەقۆلینە وئ چەندئ دیاردکتە کو گەلەک ژ میژوونفیان هەر ئیک ژ ئاست و شایین فغ غەریزا پەپوئندیی و خۆ گونجاندن ب کیمی دیتیە، ئەفا کو دشیئ پەپوئندیی جفاکی دروست بکتە. هەر وەکو دئ بینین، گەشەکرن بەرەفانیین سەرەتایی یین لیبۆرین نە مەرچەک سەرەتایی بوو بۆ زانیان وئ ئەنجامدانا فغ کریاریدا: هەندەک جارن دیت هەندەک هەجەت هەب ن بۆ گوھۆرینین بدروستی چیبوون، کو ئەوژی پینگرییا تائفی یا بیروباوەرەکن، هەفدژبوو گەل سەرەدەرییا چاک د فیاننا هەفسۆیاندا، سەرەپای تایبەتمەندیین وان یین ئایینی، فئجا شینوارین ل دویف فغ ژیکفەبوونا دووبارە دا هاتین دناقبەرا گوتارە دیالکتی و کەتواری راستی ژ هەزی گەلەک گرنگیپیدانە یە.

پەشین سەرەکی؛ میژوو یا لیبۆرین، تەپەسەپریا ئایینی، میژوو یا جفاکی، میژوو یا ئنگلیزییا هەفچەرخ، دێرا فەرمی، فەقتیایی.

Religious Persecution and Practical Toleration in England (1500-1640)

The Social Context of Tolerance Between Neighbors (Principle and Practice)

Sipan Saeed Sharo Mahmada

History Department, College of Basic Education, Duhok

University, Kurdistan Region of Iraq.

sipan.mahmada@uod.ac

This study overlooks any attempt to trace the path of transformation of the history of tolerance "from persecution to toleration" and points out that it is a mistake to concentrate only on the history of the elites or politicians when detecting the essential observations that European societies passed in their struggle for liberty of religion, and in particular English society, and suggests instead, the history of tolerance it would be better if studied as part of a connected and complex chain that can flow in two directions (political and social). This study approaches the topic in an objective rather than chronological manner, and seeks to examine the tripartite interaction between ideology (Established Church), official decree (the state), and the practical rational tolerance (social tolerance) that appears at the grassroots level. Despite the difficulties of discovering this elusive phenomenon in the available sources, the study will argue that there is much to suggest that historians have underestimated both the extent and ability of the instinct for communication, harmony and peace to shape social relations. As we will see, the development of principled defenses of toleration was not necessarily a precondition for its realization in practice: sometimes there would be subsequent justifications for changes that were already well underway, where sectarian adherence to a faith did not conflict with a charitable disposition to love one's neighbors despite their religious peculiarities, indeed the implications of the frequent disconnect between polemical discourse and actual reality deserve much attention.

Keywords: religious persecution, tolerance, social history, early modern English history, established church, dissenters